محمد بن ناصر العبودى

في

الرحلات الكاريبية

بورتريكو

وجمهورية الدومنيكان

دار [illegible] للنشر والتوزيع

0504185984

رحلات كاريبية:

بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies
https://dawa.center

ⓒ محمد ناصر العبودي ، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد ناصر
بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان / محمد ناصر العبودي
– الرياض ، ١٤٢٩هـ
١٨٢ ص ؛ ١٧ X ٢٤ سم
ردمك : ٥-٠٨٧٣-٠٠-٦٠٣-٩٧٨
١- جزر البحر الكاريبي – وصف ورحلات ٢- بورتوريكو – وصف ورحلات ٣- الدومنيكان- وصف ورحلات
أ – العنوان
ديوي ٩١٧,٢٩٠٤ ١٤٢٩/٣٩٣٤

رقم الايداع: ١٤٢٩/٣٩٣٤
ردمك: ٥-٠٨٧٣-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م

الناشـر

دار الثلوثية للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - الرياض
تلفون : ٤٦٤٢٩٩٩ / فاكس: ٤٦٤٥٩٩٩
e.mail: tholothia@gmail.com

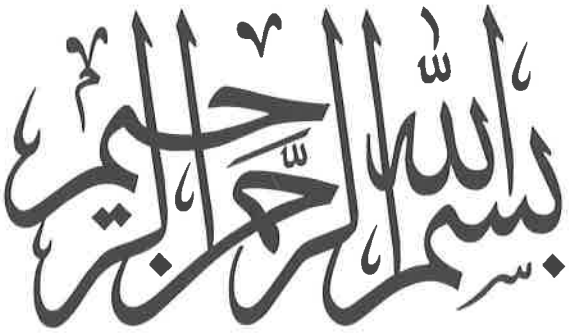
بسم الله الرحمن الرحيم

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- طبع بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر ماليف إحدى عجائب الدنيا- الرياض، دار العلوم، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين- الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي- الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان- الرياض، جمعية الثقافة والفنون، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- نشرته دار العلوم في الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين- نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي- مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية- طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين- الرياض، المطابع الأهلية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال- رحلة وحديث في شؤون المسلمين- الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى- المطابع الأهلية للأوفست في الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنــوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي- الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل- نشره النادي الأدبي في أبها، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر- طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي- مطابع الرياض الأهلية للأوفست، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض،١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٥) جمهورية أذربيجان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية- نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان- طبع ببيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال- طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين- طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألمانيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية- محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القريم- نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجريا (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان- نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية- نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غينيا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا- طبع في مطابع التقنية للأوفست- الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور- مطابع النرجس التجارية، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك (من سلسلة الرحلات الهندية) مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين (من سلسلة الرحلات الصينية) طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية- طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي (من سلسلة الرحلات القوقازية) طبع في مطابع التقنية للأوفست، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار (من سلسلة رحلات الشمال) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي- طبع مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة- مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي- طبعته مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠ هـ.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفيتي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي، طبع في مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٩) إقليما سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٧٠) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٧١) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا (من سلسلة الرحلات الكاريبية) مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢١هـ.

(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٦) في جنوب البرازيل (من سلسلة الرحلات البرازيلية) مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٨) بلغاريا ومقدونيا (من سلسلة الرحلات في بلاد البلقان) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٠) بيليز والسلفادور (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨١) (العودة إلى ما وراء النهر) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٢) (على سقف العالم) رحلة في التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٤) بلاد العربية الضائعة (جورجيا) طبع في مطابع العلا، الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٥) الاعتبار في السفر إلى ماليبار (من سلسلة الرحلات الهندية)، نشره النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٦) ذكريات من خلف الستار العقيدي، رحلة في شرق أوروبا وأحاديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٢هـ.

(٨٧) بالي، جزيرة الأحلام، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٨) غايتي من السفر إلى هايتي، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٩) إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، طبع في مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ.

(٩٠) وراء المشرقين رحلة حول العالم وحديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩١) إلمامة بجنوب الفلبين لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية، ومشاهدات أخرى، مطابع النرجس عام ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.

(٩٢) رحلة هونغ كونغ وما كاو، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٣) إلى أقصى الجنوب الإفريقي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٤) شمال سيبريا (من سلسلة الرحلات السيبرية) مطابع النرجس، الرياض، عام ١٤٢٤هـ.

(٩٥) فوق سقف الصين: رحلة في الشمال الغربي من الصين، وحديث عن المسلمين، طبعته مطبعة العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٦) إقليم أورنبورغ (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا) طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٧) إلى إريتريا بعد ٣٦ سنة، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ.

(٩٨) الشرق الشمالي من البرازيل: رحلة في ولايات: برنانبوكو وريوقراندي دي نورتي وبارابيبا (من سلسلة الرحلات البرازيلية) طبع في مطابع العلا في الرياض.

(٩٩) من غينيا الاستوائية إلى ساو تومي: رحلات في القارة الإفريقية، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(١٠٠) من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية) مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠١) إلى شمال الشمال: بلاد النرويج وفنلندا (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية)، مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ.

(١٠٢) في غرب أستراليا (من سلسلة الرحلات الأسترالية) (تحت الطبع).

(١٠٣) (نظرات في شمال الهند) مجلدان، طبع في مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠٤) جولات فنزويلية وحديث عن المسلمين في أحد أركان القارة (من سلسلة رحلات في أمريكا الجنوبية).

(١٠٥) الحل والرحيل في بلاد البرازيل (ثلاثة مجلدات من سلسلة الرحلات البرازيلية)، (تحت الطبع).

(١٠٦) في وسط الهند، طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٧) قوادي لوب وأنتيقوا وسان مارتن (من سلسلة الرحلات في البحر الكاريبي) طبع مطابع النرجس عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٨) في شمال شرق آسيا، رحلة في سيبريا ومنغوليا، طبع مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٩) القلم وما أوتي، في جيبوتي، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٥هـ.

(١١٠) (خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين)(من سلسلة رحلات الشمال) تحت الطبع.

(١١١) مقال في زيارة منطقة الأورال، (من سلسلة الرحلات في وسط روسيا)، وهو كتاب تحت الطبع.

(١١٢) رحلات كاريبية (بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان) وهو هذا الكتاب.

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(١١٣) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات)-نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(١١٤) أخبار أبي العيناء اليمامي- طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(١١٥) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبدالعزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(١١٦) كتاب الثقلاء- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١١٧) نفحات من السكينة القرآنية- طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس- نشرته دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.

(١١٨) مأثورات شعبية- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١١٩) سوانح أدبية- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٢٠) صور ثقيلة- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٢١) العالم الإسلامي والرابطة- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

(١٢٢) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء، مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٢٣) المقامات الصحراوية- مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٢٤) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة- بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية- نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ.

(١٢٥) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٢٦) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة)- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.

(١٢٧) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبدالعزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١٢٨) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(١٢٩) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٣٠) واجب المسلم في بلاد الأقليات، نشرته رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(١٣١) (العالم الإسلامي: واقع وتوقعات) نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحبا لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(١٣٢) الدعـوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٣٣) (حِكَمُ العوام)، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٣٤) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، في أربعة مجلدات.

(١٣٥) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

(١٣٦) أثر الأقليات المسلمة في الدعوة الإسلامية، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(١٣٧) الكناية والمجاز في اللغة العامية، نشرته مجلة الدرعية التي تصدر في الرياض، ١٤٢٣هـ.

(١٣٨) أماكن قديمة العمارة في القصيم، نشرته مكتبة العبودي في بريدة لصاحبها صالح بن عبدالله العبودي.

(١٣٩) معجم الألفاظ الدخيلة في لغتنا الدارجة، نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض في مجلدين- عام ١٤٢٥هـ.

(١٤٠) المقامات البلدانية، نشره النادي الأدبي في الرياض، عام ١٤٢٦هـ.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين ورسوله للناس أجمعين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد: فإن هذا الكتيب هو الرابع من كتب حررتها عن زياراتي لجزر في البحر الكاريبي، اشتمل الكتاب الأول منها على الكلام على (المارتنيك) و(باربادوس)، واشتمل الثاني على ذكر الرحلة في (جزر قرينادا وسانتا لوسيا ودومنيكا)، أما الثالث فكان فيه الحديث عن (قوادي لوب) و(انتيقوا) و(سانت مارتن).

وكنت عزمت على السفر بعد جمهورية الدومنيكان أو قبلها إلى الجمهورية التي تقاسمها السكنى في جزيرة (هسبينولا) الكاريبية الكبيرة وهي (هايتي) وقطعت تذكرتي على هذا الأساس من مكة المكرمة، كما عزمت على أن تكون نهاية هذه الجولة في هافانا عاصمة جزيرة كوبا التي هي أكبر جزر البحر الكاريبي، غير أن ذلك لم يتيسر، إذ كانت حالة الأمن في هايتي سيئة، بل ذكروا أنه لا أمن فيها للغريب مثلي الذي لا تخفى غربته على أحد بسبب لونه المميز، ولم أجد رغم سؤالي وإلحاحي على الإخوة المسلمين في المنطقة من يستقبلني، أو أطمئن إلى وجوده معي هناك، أو وجودي معه، وأنا وحدي ومعي بقية صالحة من مال أردت إنفاقه على المشروعات الإسلامية من جمعيات أو مساجد، أو حتى طلبة مسلمين فقراء، لذلك عدلت عن السفر إلى (هايتي) بعد أن حذرني أهل المنطقة من السفر إليها.

وأما كوبا فإن الكل مجمعون على أنها آمنة، وأن المسافر إليها وحده لا يخشى شيئاً، غير أنني لم أجد طائرة توصلني من (سانتودمنقو) عاصمة جمهورية الدومنيكان إلى (هافانا) عاصمة كوبا إلا بعد أيام ثلاثة ليس

باستطاعتي أن أضيعها في انتظار السفر إلى كوبا، ولم أستطع أن أجد وسيلة أخرى للسفر لأن الولايات المتحدة الأمريكية ومن شايعها في المنطقة يقاطعون خطوط الطيران الكوبية، ولا يرسلون طائراتهم إلى كوبا.

لذلك قررت آسفاً العدول أيضاً عن السفر إلى (كوبا) مرجئاً ذلك إلى فرصة أخرى قد تسنح بإذن الله فأزور هذين القطرين زيارة مطمئنة في وقت متسع[1].

ولذلك أصبح الكلام في هذا الكتيب مقتصراً على (بورتوريكو) و(الدومنيكان)، والله المستعان.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

(١) سنحت الفرصة بالفعل لزيارة ذينك القطرين أحدهما بعد الآخر في آخر عام ١٤٢٠هـ وكتبت عن كل واحد منهما كتاباً فالأول عن كوبا بعنوان (السفر والأوبة من كوبة)، والثاني عن هايتي بعنوان (غايتي من السفر إلى هايتي).

الفصل الأول

بورتوريكو

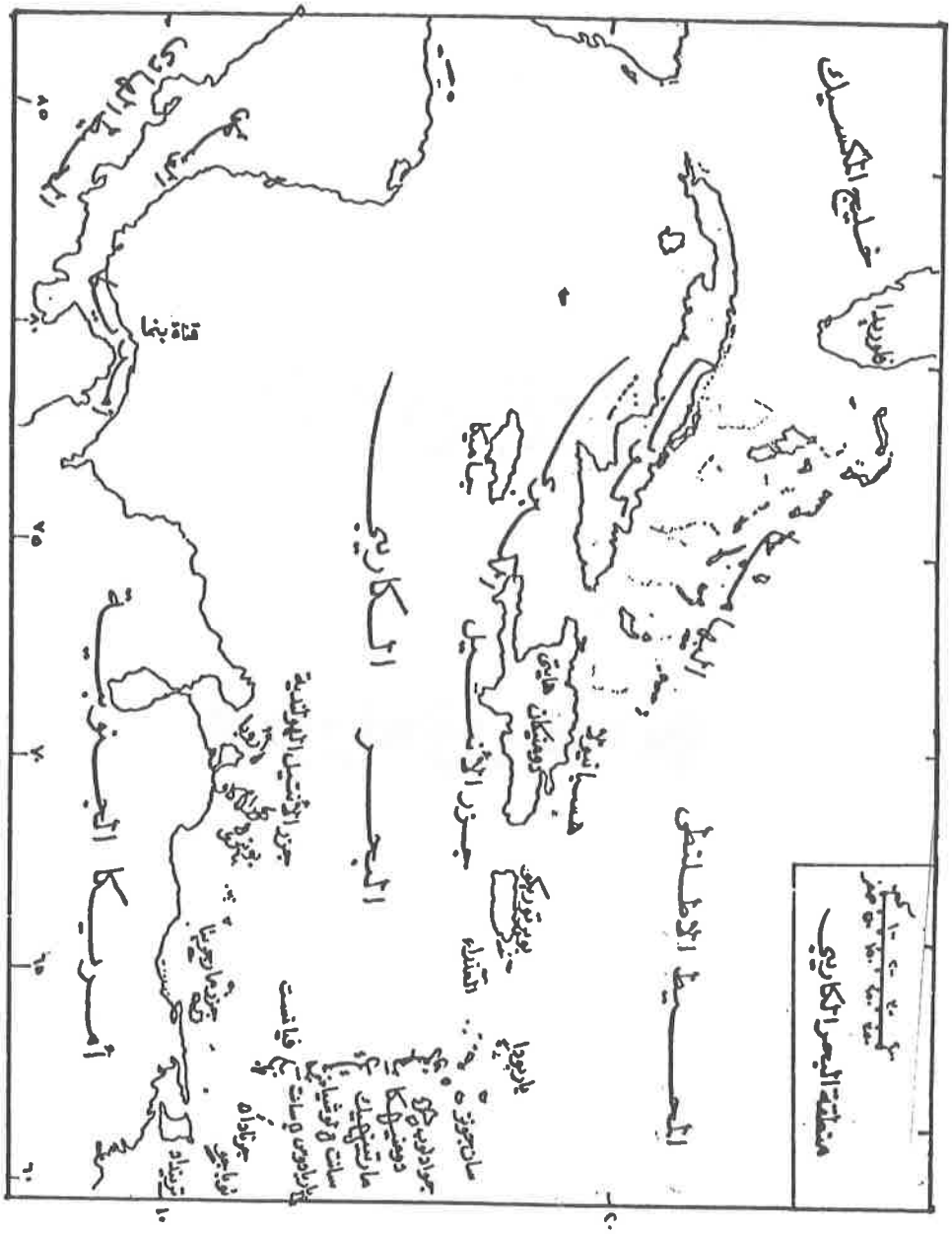

خريطة منطقة البحر الكاريبي

بورتوريكو:

جزيـــرة رئيسية من جزر البحر الكاريبي، اكتشفها كريستوفر كولومبس عـــام ١٤٩٣م، واستمرت في أيدي الإسبان الذين كانوا قد سيروه ومن معه التماســاً لطريق يوصل إلى الهند من جهة الغرب يكون أيسر، وربما أقصر من الطريق المعروف آنذاك الذي يتجه شرقاً من إسبانيا إلى الهند.

وعـــندما اكتشـــف (كولومبس) ومن معه العالم الجديد وأول ما وصل إليه منه هو جزر البحر الكاريبي اعتبروا أن تلك الأراضي ملك لهم، وتعتبر من أقدم الأماكن التي وطـــد فيها الاستعمار الإسباني أقدامه، وبدأ الإسبان، منذ عام ١٥٢٠م يبنون فيها القلاع والحصون والكنائس، وقد بقيت (بورتو ريكو) مع الإسبان نحو أربعمائة سنة.

وذلـــك إلـــى أن اســـتولت علـــيها الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٨٩٨م، فصـــارت بمـــثابة المستعمرة الأمريكية إلى أن اتفقت مع أمريكا على شبه اتحاد بينهما أصـــبحت بموجبه بمثابة الأرض الأمريكية، وإن لم تكن من الناحية القانونية ولاية من الولايـــات الأمريكـــية، وذلك رغم المسافة التي تفصل بينها وبين أقرب ولاية أمريكية جنوبـــية، وهـــي ولاية فلوريدا نحو ٢٤٠٠ كيلومتر، وتطبق عليها القوانين الأمريكية فيما يتعلق بالجنسية وسمات الدخول والإقامة إليها للأجانب.

وبلـــغ عـــدد ســـكانها في عام ١٩٩٤م (ثلاثة ملايين وخمسمائة واثنين وعشـــرين ألف نسمة)، ومواردها محدودة لذلك خفضت من الضرائب على الشركات والمؤسسات التي تنشئ فيها مصانع أو تقوم بمشروعات اقتصادية مفـــيدة، وقـــد أثمـــرت هـــذه السياســـة، إذ انتشرت فيها الشركات وقصدتها باستثماراتها التي جلبت إليها آلاف الملايين من الدولارات.

ومظهـــر الـــبلاد فيما يتعلق بتنظيم الشوارع والميادين والأبنية الجديدة والتـــي لا تعتبر تاريخية مظهر أمريكي، ولذلك يفاجأ من يزورها قادماً من جـــزر الـــبحر الكاريبـــي بأنها أكثر عمارة، وأوسع شوارع، وأكثر تنظيماً بمراحل من الجزر الكاريبية التي تجاورها.

المسلمون في بورتوريكو:

وصل أوائل المسلمين إلى (بورتوريكو) في وقت مبكر بالنسبة إلى وصولهم إلى أكثر جزر البحر الكاريبي، فقد كان ذلك في عام ١٩٣٠م، ثم تكاثر عددهم نسبياً بعد ذلك، ولكنهم ظلوا دون تنظيم، ودون أن تكون لهم مؤسسات إسلامية، فقد ظلوا دون مسجد أو حتى مصلى، وعدما زرتها المرة الأولى في عام ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م لم يكن فيها مسجد، ولا تقام فيها جمعة، رغم وجود عدد من المسلمين فيها قد يصل إلى ألف شخص آنذاك، مما كان مدعاة لأسفنا وحزننا، بل وامتعاضنا، لأن المسلمين أصحاب تجارات وأموال، بل ومؤسسات ناجحة، وصارت عندهم مصانع ناجحة منها مصانع للأدوية جيدة مشهورة تصدر إنتاجها إلى الولايات المتحدة وأنحاء أخرى من العالم.

هذا إلى جانب المنتجات الزراعية التقليدية فيها مثل القهوة والموز والفراولة وجوز الهند الذي هو ثمار النارجيل.

ولم يكن يوجد فيها إلا النادي الفلسطيني الذي كان يجتمع فيه الفلسطينيون من مسلمين ومسيحيين، وأغلب المسلمين آنذاك، وبخاصة الشباب كانت تسيطر عليهم أفكار القومية والاشتراكية العربية التي تحارب الدين وتحاول أن تحل محله في النفوس، وقد أخبروني في ذلك الوقت أن بعض المتدينين أرادوا أن يقيموا صلاة الجمعة في النادي الفلسطيني، ولكنهم لم يستطيعوا ذلك لأن الذين يكونون فيه لا يكفون عن ممارسة ما كانوا يمارسونه من رياضة، وما كانوا يستمعون إليه من موسيقى أو لهو خلال الصلاة، إضافة إلى قلة من كانوا يحضرون لصلاة الجمعة، ولذلك توقفت محاولات إقامة صلاة الجمعة في ذلك النادي، فلم تكن تقام الجمعة في كل (بورتوريكو) آنذاك.

وأما الآن فإن الإخوة الفلسطينيين وهم أكثرية المسلمين في الجزيرة قد أقاموا المؤسسات الإسلامية، ومن ذلك أربعة مساجد وثلاثة مصليات كما أنهم الآن بصدد بناء مساجد جديدة في أنحاء أخرى من الجزيرة.

وهذا تطور سار ولله الحمد.

وهذه أسماء المساجد والمصليات في الجزيرة:

- مسجد قباء- مدينة سان خوان.
- مسجد عثمان بن عفان- مدينة بونسي.
- مسجد الفاروق- فيكا التا.
- مسجد في بلدة اكواديه.

المصليات:

- مصلى حسيبو- بلدة حسيبو.
- مصلى هجوجه- مدينة.
- مصلى كاهاردو- مدينة.

المركز الإسلامي في سان هوان:

وقد يسمونه المركز الإسلامي الأعلى، وذلك أنه أول المراكز الإسلامية إنشـــاءً، وهو أكبرها وأكثرها فعالية، ويقع في جانب من مدينة (سان هوان) اســـمه (ريوبـــيدروس) ويسمونه (مدينة ريوبيدروس) مع أننا لم نلاحظ أنه يفصله فاصل عن مدينة سان هاوان.

المركز الإسلامي في ريوبيدروس في بورتوريكو

وهو على شارع مهم اسمه (بادروي كولون) ويتألف المركز من طابقين أحدهما حوانيت تجارية لأن الشارع شارع تجاري تؤجر تلك الحوانيت (الدكاكين) ويصرف من ريعها على تشغيل المركز وما يحتاج إليه من نفقات متكررة، والثاني مسجد واسع مجهز بما يحتاج إليه المسجد من فراش ومراوح ومكبرات للصوت.

وقـد ذكـر الإخوة المسلمون القائمون على المركز أن ريع الحوانيت يكفي للنفقات التي يحتاجها المركز، ولذلك لا يحتاج إلى تبرع خارجي، وإنما تحتاج بعض المصليات والمساجد الأخرى خارج العاصمة إلى مساعدات.

مـع أنهم يعملون على أن يكون هذا المركز بمثابة الأصل للمساجد في بورتوريكـو كلهـا، وهـي له بمثابة الفروع، سعياً لتنسيق العمل الإسلامي وتنظيمه، وظهور المسلمين بمظهر المتحدين أمام الهيئات الخارجية.

وهذه أسماء أعضاء المركز الإسلامي الأعلى:

- رئـيس المركـز الإسـلامي: د. شكري محمد الخطيب أستاذ في كلية الطب- بورتوريكو.
- نائـب رئـيس المركـز الإسـلامي: الحاج خليل مناع ياسين صاحب صيدليات الرحمة.
- أمين السر: الحاج عزات بدران صاحب محلات كراندوي للملابس.
- أمين الصندوق: الحاج أحمد نوفل- تاجر.
- أعضـاء: حـامد عمدة السلواذي- صاحب متجر، والحاج حسين علي عبدالرحيم- تاجر، الحاج جمعة المزرعاوي- تاجر.

إمـام المركـز الإسلامي: الشيخ حسن أحمد أبونار- يقدم الدكتوراه في الشريعة وهو عضو فعال في عمل المركز من الناحية الدينية والإدارية.

ويـتألف المسـلمون فـي بورتوريكو من العرب بالدرجة الأولى حيث يبلغ عددهم فيها ما بين الفين ومائتين، وألفين وخمسمائة، أما العرب كلهم من مسلمين ومسـيحيين مـن منظمين للجمعيات الإسلامية وغير منظمين إليها، فإن سجلات الاتحاد العربي في بورتوريكو تقول: إنهم مع أطفالهم يبلغون خمسة آلاف نسمة.

مع الإخوة المسلمين على أرض المسجد في الرصيبو

وهـناك أقلـيات مسلمة منها ٩٥ من المسلمين السود الذين هم الجنس الغالـب على جزر البحر الكاريبي ما عدا (بورتوريكو) فإنهم فيها أقلية، إذ الجـنس الغالـب فـيها هـو الإسباني وتبلغ نسبة ذوي الأصل الإسباني في الجزيرة ٧٥% والسود ٢٤% والأجناس الأخرى١%.

وهناك مسلمون من جنوب إفريقية عددهم ٢٥ و٢٥٠ طالباً من جنسيات متعددة يدرسون فيها.

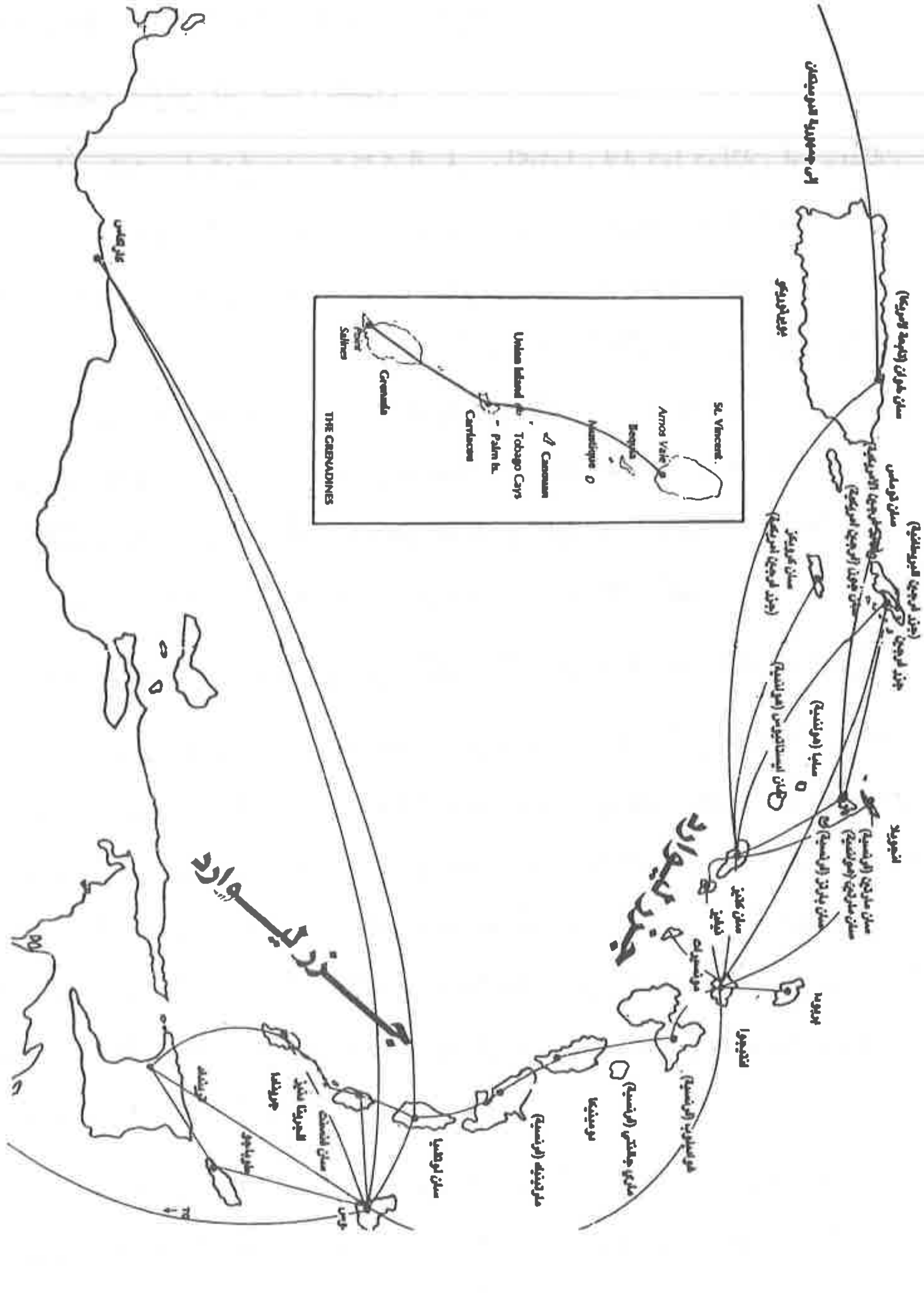
St. Vincent
Arnos Vale
Bequia
Mustique
Canouan
Union Island
Tobago Cays
Palm Is.
Carriacou
Grenada
Point Salines
THE GRENADINES

خريطة

يوم الأحد: ١٤١٦/٦/٢٥هـ-١٩٩٥/١٠/٩:

من سانت مارتن إلى سان هوان:

و(سانت مارتن) جزيرة تشترك في ملكيتها وإدارتها دولتان أوروبيتان هما فرنسا وهولندا، وليس المراد من ذلك أنهما تديرانها معاً، وإنما تتقاسمانها، فالشمالي منها لفرنسا والجنوبي لهولندا، مع أن الجزيرة صغيرة ذكروا أن سبب تقسيمها أن فرنسيا أرسى في شمال الجزيرة ليمتلكها في عهود الاستكشاف لفرنسا ، وأن هولندياً فعل الشيء نفسه ولكن أرسى سفينته في جنوبها فتخاصما على ملكيتها، ثم اتفقا على أن يتقاسماها بدلاً من التخاصم والتنازع، قالوا: فأطعم الفرنسي الهولندي طعاماً قدم معه خمراً قوية، لذلك استطاع أن يجعل حصة فرنسا أكبر بموافقة الهولندي.

وقد ذكرت أخبار رحلتي فيها في الكتاب الثالث من سلسلة هذه الكتب الكاريبية.

أما (سان هوان) فإنها عاصمة جزيرة بورتوريكو التي تديرها الولايات المتحدة الأمريكية بموجب اتفاقية اتحاد معها، وتطبق عليها أكثر القوانين الأمريكية إلا أنها تنفرد بمميزات لها منها ما رأيته فيها أن الولايات المتحدة الأمريكية تقاطع حكومة كوبا الشيوعية بحيث إنها لا تسمح لطائراتها بالنزول في مطاراتها ولا للطائرات الأمريكية بالذهاب إلى كوبا، ولكن (بورتوريكو) تسمح بذلك، وقد سافرت بالفعل منها إلى (سانتو دومنقو) عاصمة جمهورية الدومنيك على طائرة كوبية كما سيأتي.

وذلك لكون أكثر سكان (بورتوريكو) يقولون: إنهم من الإسبان، وليسوا من السكان الأصلاء الذين يسمون الهنود الأمريكيين ويعتزون بإسبانيتهم وبخاصة لغتهم الإسبانية والتاريخ الإسباني في الجزيرة حتى إن اللغة الغالبة

في بورتوريكو هي الإسبانية وبعضهم يتعصب لها فلا يكلمك بالإنكليزية إلا إذا تيقــن أنك لا تعرف الإسبانية، ومعلوم أن الكوبيين بغالبيتهم ينتمون إلى أصل إسباني مثل هؤلاء.

مغادرة سان مارتن:

كان معي لدى مغادرتي جزيرة (سان مارتن) الواقعة في البحر الكاريبي الأخ الحــاج محمــد عبدالحميد منصور رئيس الجمعية الإسلامية في (سان مارتن) وهو فلسطيني من رام الله، ولم أكن حجزت منها إلى بورتوريكو من قبل لأن تذكرتي كانت تذهب من (قوادي لوب) إلى بورتوريكو، لذلك خرجت معه إلى مطار جوليانا في سان مارتن وهو مضاف إلى جوليانا ملكة هولندا لكونه واقعاً في القسم الهولندي من الجزيرة، فوجدنا موظفة سوداء اللون مثل سائر سكان الجزيرة وغيرها من جزر البحر الكاريبي التي مررت بها حتى الآن فــي هــذه الجولــة وهــي المارتنيك وباربادوس وقرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا وقوادي لوب وانتيقوا، وهذه كلها تؤلف الواحدة منها دولة مستقلة، مــا عدا المارتنيك و(قوادي لوب) فإنهما تعتبران من الأراضي الفرنسية فيما وراء الــبحار لأنهما كانتا من المستعمرات فضل أهلهما البقاء داخل الاتحاد الفرنسي أي البقاء فرنسيين.

لقد وقفنا في صف طويل أمام مكتب الترحيل لكثرة المسافرين وعجبت من كثرتهم هنا وأكثرهم من السياح الذين قدموا من الولايات المتحدة وغيرها مــن دول أوروبــا وأتوا إلى هذه الجزيرة ذات الشواطئ والأخوار الرملية الناعمة والجو الحار الخفيف الرطوبة.

ولم نجد مكاناً خالياً مؤكداً في الرحلة التي تغادر اليوم في الحادية عشرة

والنصف إلى (سان هوان) فحجزت لي الموظفة حجزاً مؤكداً على رحلة أخرى تغادر في الخامسة إلا الربع عصراً.

وعند بوابة الخروج كان هناك صف طويل من المسافرين المنتظرين، ولكن الطائرة وهي كبيرة تابعة لشركة (أمريكا ايرلاين) امتلأت قبل أن ينتصف صف المنتظرين، وكنت حسب الترتيب مع آخرهم فأغلقوا بوابة الخروج إلى الطائرة دوننا وعدنا إلى الخروج من قاعة المغادرة إلا أنهم أراحوني من حقيبتي الكبيرة، فقد تسلموها لكون حجزي مؤكداً على الرحلة التالية.

وعدت إلى داخل جزيرة (سان مارتن) مع الأخ محمد منصور الذي لم يتركني طول هذا اليوم حتى سافرت جزاه الله خيراً، فمررنا بمشروع له ضخم لأنه يتاجر في الأثاث، وأراني كيف خربه الإعصار الذي كان ضرب جزيرة (سان مارتن) وخرب فيما خرب بعض ملحقات المسجد فيها، ومررنا بشارع قد ألقيت على أرصفته جثث القوارب التي قذف بها الإعصار الذي كان قد اجتاح جزيرة سان مارتن قبل شهر ونصف تقريباً، وقد أبعدها الإعصار إلى الشوارع مع أنها كانت في البحر ولكن الأمواج العاتية، ومياه المد المرتفعة أوصلتها إلى الشوارع والميادين فأبعدتها البلدية عن طريق السيارات وبقيت على الأرصفة لا يأخذها أهلها لكون إصلاحها يحتاج إلى نفقات كبيرة، هذا إذا ميزوها عن غيرها.

ولاحظت سفينة كبيرة غارقة في البحر لم يحاول أهلها رفعها أخبرني الأخ محمد منصور بأنها كانت مطعماً عائماً فغرقت ودخلت مياه البحر إلى محركاتها، والآلات الحساسة فيها فأفسدتها حتى صارت لا تساوي قيمة إصلاحها، أو لنقل إن شراء واحدة جديدة هو أرخص من إصلاح هذه القديمة التي تظل قديمة رغم ذلك.

ومـــثلها فـــي ذلـــك مـــثل بعض المنازل والفنادق التي أضر بها هذا الإعصـــار المدمر الذي يسمونه إعصار (لويس) فقد فضل أهلها تركها على حالهـــا وإزالـــتها بعد ذلك، لأن إصلاحها يحتاج إلى المال مثلما يحتاج بناء مساكن جديدة أو أكثر.

وكـــان وقـــت الغداء قد حان فتغديت مع الأخ محمد منصور في مطعم على شـــاطئ الـــبحر، بجانـــب المياه الضحلة اللازوردية، وكان الغداء أيضاً من طعام الـــبحر فهو سمك مقلي مع بطاطس وخضرات قليلة طازجة، والخضرات عندهم قليلة في الجزيرة لأنه ليس فيها أنهار، والمياه العذبة فيها قليلة لذلك يشربون مثلنا من مياه البحر التي يصفونها ويرسلونها إلى المنازل والمؤسسات العامة.

ولذلك أخبرني الأخ محمد منصور أنهم يستوردون حتى الطماطم والموز الـــذي يصلح عندهم لولا شح المياه، ولكن الجزر الأخرى القريبة منها مثل جزيرة دومنيكا تنتج مقادير كبيرة من الموز وتبيعه بأثمان بخسة.

وثمن الوجبة الواحدة ٧ دولارات أمريكية للشخص الواحد منا.

وكانـــت المـــناظر التـــي نشـــاهدها مـــن المطعم الواقع على الشاطئ جميلة حقاً فالشـــاطئ ذو رمـــل أحمر وشكل هلالي تطل عليه الفنادق والأبنية المتعددة الطوابق، ولكـــن فـــي نظام يبعد عنها الرتابة أو التزاحم، والمياه الضحلة فوق الرمال النقية تمتد إلى مسافة في البحر ترى بعدها على البعد المياه العميقة الزرقاء.

ومن المناظر غير المستساغة عندنا منظر نساء بيض قد تعرين وجلسن فـــي الشـــمس الضـــاحية المحرقة، ولكنهن يكافحن تأثير أشعة الشمس على أجســـادهن بطلائها بأنواع الزيوت التي تقيها شر الأشعة فوق البنفسجية من أشعة الشمس.

ومـــنظر زوجين شابين معهما رجل دين مسيحي بملابسه الكهنوتية وقد جاءا معه إلى البحر بملابسهما السابغة، ربما كان ذلك من أجل تغيير المذهب أو الاعتقاد بدين أو مذهب ديني جديد.

وبعـــد الغـــداء عدنـــا إلـــى المطار ودخلت قاعة المغادرة مرة أخرى، ورجـــوت الأخ محمد منصور أن يتركني ويرتاح ففعل فقضيت أكثر الوقت في قاعة المغادرة في كتابة ما تقرأه الآن.

وقاعـــة المغادرة صغيرة وليس فيها تكييف عام، ولكنها صالحة للكتابة لأن الكراسي فيها كثيرة يستطيع مثلي أن يختار منها كرسياً في زاوية بعيدة عن التشويش.

ومـــن الطريف أنهم جعلوا بجانب القاعة مقهاة في الهواء الطلق، تحت الشمس المحرقة، ورأيت بعض البيض من الأوروبيين والأمريكيين يجلسون فيها ويتركون القاعة الظليلة.

وقابلـــت في قاعة المغادرة أخاً فلسطينياً يسميه الفلسطينيون هنا بالشيخ، وذلك لورعه والتزامه بدينه واسمه سعد الله مصطفى، وهو مسافر مع طائرة أخـــرى إلى ميامي فاستفدت منه أشياء عن أحوال المسلمين في المنطقة حتى خرج لطائرته قبلي.

ولاحظت كثرة المقعدين وهم الذين صاروا يسمون الآن بالمعاقين الذين لا يستطيعون السير، وإنما يدفعون بعربات اليد، وقد أركبوهم قبل الركاب في الـــرحلة التي قبل رحلتنا وفي رحلتنا أيضاً كان عددهم الذين هم من رحلتنا ثلاثة، وأكثر هؤلاء المقعدين من البيض.

وقــد أقلعت عدة طائرات وهبطت غيرها في مطار (سان مارتن) مع كونهــا جزيــرة صغيرة كما قدمت، ولكنها تعتبر بمثابة السوق الحرة، إلى جانــب كونهــا ســياحية تعتمد في مواردها على السياحة، إلا أنني لاحظت اضــطراب الموظفيــن عند ترحيل الركاب وكثرة مراجعاتهم أو مشاجراتهم معهم، مع أن المفروض أنهم من المجربين في العمل، والملاحظ أنهم جميعاً من السود، ويغلب العنصر النسائي عليهم.

وفــي الــرابعة والثلث نادوا على الركاب للخروج إلا أنهم أوقفونا عن الخــروج متعلليــن بأنه لا توجد أرقام على بطاقة الصعود إلى الطائرة التي نحملها مع أنهم هم الذين وضعوها، وبدءوا بمن يحملون أرقاماً ثم أبقونا قليلاً وسمحوا لنا بالصعود.

صــعدنا لطائرة شركة (أمريكان إير لاين) التي نسافر معها واستقبلتني مضــيفة خلاسية تميل إلى البياض قليلاً فهي تشبه العربية من أهل الجنوب قالت: اجلس حيث تجد كرسياً خالياً، وجلست في مقدمة الطائرة.

والغريــب أنهــا كانت منعت شخصاً قبلي من الجلوس فيه، وحدث أن أخــذت مني حقيبتي اليدوية مثل المسافرين وأودعتها مقدمة الطائرة حرصاً منهم على الأمن.

واســترعى انتباهي ألوان المضيفين وهيئاتهم، فأكثرهم في لون العرب ولكن تقاسيم وجوههم غير ذلك، وفيهم أمريكيون وهم مختلطون ما بين رجال ونساء، وفيهم واحدة سوداء.

وقد امتلأت الطائرة بالركاب الذين يغلب عليهم الطابع الأمريكي المميز الذي يمــيل أهله إلى الكبر في السن والارتخاء في الجسم، والتغضن في البشرة، وكثرة

العجائـــز فيه، وعدم ابتغاء التأنق في اللباس، بل عدم الذوق فيها وإنما يبدون كما لو كانوا يلبسون كيفما اتفق، ولا يبالون بآراء الناس فيما يلبسون.

والطائـــرة مـــن طـــراز بوينغ ٧٥٧ وهي جديدة أكبر قليلاً من ٧٣٧ ، وعـــندما ركبـــت فيها بعد ركوب الطائرات الصغيرة بل الحقيرة في جزائر البحر الكاريبي ظهرت أمام عيني كأنما هي الجامبو الضخمة.

وفـــي الطائرة تلفاز يبث برامج بدون صوت أو كتابة لا أدري لمن هو، وأكـــثر مـــا يعرضه مناظر طبيعية، وكانوا بثوا من المكبر والتلفاز تعليمات الطيران والهبوط الاضطراري مسجلة.

وقـــد درجـــت الطائـــرة في مدرج المطار الذي هو شبيه بالجاف لكون الجزيـــرة ليســـت كثـــيرة الأمطار، ولذلك ليست مدارج المطار فيها محاطة بالخضرة كمطارات الجزر الكاريبية الأخرى.

وأقلعـــت فـــي الوقـــت المحدد وهو الخامسة إلا الثلث دون تأخير، وقد فارقت الجزيرة بسرعة فيما خُيل إليَّ، لأنني كنت أركب طيلة الأيام الماضية مـــع طائرات صغيرة مروحية بطيئة الحركة، لذلك تظل وهي تقلع كأنما تشد إلى الأرض التي تقلع منها شداً بالنسبة إلى الطائرات النفاثة السريعة.

وقـــد وزعـــوا استمارات الدخول الأمريكية الطويلة المعقدة التي تحتاج تعبئة ما يختص بالجمارك منها إلى مدة طويلة، ولكن الله عافاني منها ببركة الجواز (الدبلوماسي) الذي لا يطلب من حامله أن يملأ استمارة الجمارك.

وفـــي آخـــرها حذروا وانذروا من يكذب في المعلومات، أو يذكر أشياء غير صحيحة بالعقاب.

ولججت الطائرة في سماء البحر الكاريبي الذي لم أفارقه في آية رحلة من الرحلات منذ أن وصلت إلى أول جزيرة نزلت فيها في هذه الرحلة، وهي جزيرة المارتنيك.

وهو منسوب إلى الكاريب، وهم جنس من السكان الأصلاء الذين كانوا موجودين في هذه الجزر قبل أن يصلها المكتشفون الأوروبيون، ألح عليهم المستعمرون الأوروبيون بالتتبع والعقاب الذي يصل إلى القتل لكونهم لم ينسجموا معهم حتى انقرضوا من كل المنطقة إلا قلة قليلة منهم اعتصمت بجبال دومنيكا المنيعة بقيت فيها حتى الآن، وبقي اسمهم بعد أن ذهب رسمهم على هذا البحر الذي يفصل بين الأمريكتين الجنوبية والشمالية، وتتصل مياهه بمياه المحيط الأطلسي.

وقد مررنا فوق بعض الجزر التي لم نتبين شيئاً منها، وليس كما عليه الحال في الطائرات المروحية الصغيرة التي كانت تنزل في أكثر الجزر، ونعرف منها الجزر الأخرى من المعلومات الموجودة في جيوب المقاعد فيها.

وقد تذكرت سبب التشديد والوعيد في ذكر غير الصحيح في استمارات الدخول وهو أن الراغبين في الدخول إلى الولايات المتحدة الأمريكية من هذه المنطقة كثر، وأكثرهم لهم أقارب أو مواطنون سبقوهم إلى أمريكا الشمالية يستطيعون أن يساعدوهم على العيش فيها.

مع أن شركات الطيران كلها لا تحمل الركاب إلا إذا كان في جوازا تهم سمات دخول صريحة واضحة في صلاحيتها للدخول إلى الولايات المتحدة.

والجو صاح، ولذلك كان الطيران ممتعاً لولا عدم التعريف بالجزر التي نمر بها، وإن كان أغلبها جزراً صغيرة.

فوق بورتوريكو:

وصلنا إلى بورتوريكو من جهة الشمال وصرنا نطير فيها لأن ذلك يعني طولها وليس عرضها، وبدت من الجو ممتدة في غير عرض شواطئها جبلية، جبالها خضر واقفة، والمنازل على الشواطئ وفي الداخل كثيرة حتى تبدو كأنما هي مزدحمة بالسكان، وحتى في داخلها بدت جبال عالية توشح أكتافها سحب بيض، وكنت أرى من الطائرة شاطئ الجزيرة الشرقي والغربي، وذلك لقلة عرضها وارتفاع الطائرة، وقد أكثر مكبر الطائرة من الإعلانات عن الوصول حتى أعلنوا رقم البوابة التي ستقف عندها الطائرة، وهذا أمر لا يعني مثلي وربما لا يعني أكثر الركاب.

ثم رأينا طرفها وفيه العاصمة (سان هوان) وهي تبدو كبيرة متسعة ممتدة من وسط الجزيرة حتى شاطئ البحر، وإن كان اصلها هو ما كان على البحر ثم توسعت باتجاه الداخل، وذلك في كثافة سكانية ظاهرة، ولكن ضواحيها التي كانت أول ما وصلت الطائرة منها وهي تحلق ليست وجيهة المنظر فأكثر المنازل منفردة تبدو لاطئة في الأرض وذات سقوف من الصفيح المسنم السقوف.

ولكن الفخامة ومظاهر الثراء بدت على وسط المدينة الذي يسمي الأمريكيون الشماليون مثله بالداون تاون فهو يتألف من أبنية عالية ضخمة متعددة الطبقات وبينها شوارع ليست بالغة السعة، مكتظة بالسيارات، وينطلق من الأرض لسان في شمالها الغربي داخلاً في البحر عليه أبنية كثيفة عالية أيضاً.

وتربة الجزيرة التي حول العاصمة حمراء جميلة كأنها الاستوائية، وأكثرها مغمور بالأعشاب الخضر بحيث لا يرى منه لون التربة إلا إذا قشر بشيء أو حفره حافرون.

وقد هالني كثافة السيارات التي كانت تسير في طريق سريع (هاي وي) فهي في كثافة لا توجد في شوارع المدن المشهورة بكثرة السيارات فيها كبلادنا والولايات المتحدة الأمريكية حيث تكون الشوارع عظيمة الاتساع ولكنها مكتظة بالسيارات.

وتجلى شبهها بالمدن الأمريكية من وجود جسر طويل فوق خور عريض وهو الخليج من البحر، ووجود جسور عديدة على مفارق الطرق السريعة في الضواحي.

في مطار سان هوان:

هبطت الطائرة في مطار (سان هوان) عاصمة بورتوريكو في الخامسة وخمس دقائق بعد طيران لم يزد على ٢٥ دقيقة، ولذلك لم يقدموا في الرحلة أية ضيافة ولا كأساً من الشراب، وهو مطار طويل المدارج تحيط بمدارجه أعشاب كثيفة خضر.

وكان وقوف الطائرة أمام دهليز متحرك، أو هو كُمٌّ آليٌّ طويل، وهذا الدهليز أو الكم جديد ورحب مفروش بالبساط الموحد (الموكيت).

عندما وصلنا إلى قاعة الوصول حيث مكاتب الجوازات وجدتها مزدحمة بصفوف طويلة من القادمين مما جعل الانتظار لانتهائها مرهقاً، فالتمست مكتباً مخصصاً للجوازات (الدبلوماسية) فلم أره، وإنما رأيت في القاعة مكتباً عند مدخلها عليه امرأة تشبه العربيات، فقلت لها: إن جوازي (دبلوماسي) ويصعب عليَّ انتظار كل هذه الصفوف، فأمرت موظفة متجولة جميلة المنظر تشبه اللبنانيات، وليست بلبنانية وقالت: هذا يحمل جوازاً (دبلوماسياً) اصحبيه، فذهبت معي إلى مكتب عليه لافتة تقول: إنه لمرور الملاحين.

وعلى هذا المكتب موظف إلى السمرة ما هو حتى إنه يشبه اليمانيين، بعد أن رأى السمة الأمريكية في جوازي وأنها (دبلوماسية) لعدة سفرات خلال سنة واحدة، وأخذ يستخبر حاسباً آلياً عنده ويقارن بين المعلومات الموجودة فيه وبين المعلومات التي في جوازي والمعلومات التي كتبتها في استمارة الوصول، ثم ختم جوازي فودعتني الموظفة الجميلة المجاملة.

لقد عجبت لهذا الحاسب الآلي الذي يحصرون أو يحشرون فيه المعلومات المتعلقة بالسمات وغيرها من أنحاء العالم، وهو المسمى بالكمبيوتر، وقلت: هذا كمبيوتر من صنع البشر وله هذه القدرة العجيبة على خزن المعلومات واستيعابها، فما بالك بالكمبيوتر الأعظم الذي هو من صنع الخالق عز وجل، وهو الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وإنما سميناه بالكمبيوتر مجاراة لفهم بعض الناس الذين لا يؤمنون إلا بالحسيات وتنزلاً في الحديث.

وذلك لأن الكمبيوتر الأمريكي هذا قد وجدوا فيه المعلومات مع أنني قدمت إليهم من جهة لا يحتسبونها إذ أين البحر الكاريبي من المنطقة العربية؟

تجاوزت منطقة الجوازات في هذا المطار الكبير الذي تبين أنه فوق ما يتخيل من يراه من الجو في السعة، وتعدد المرافق، وكثرة الموظفين، وكثافة المسافرين منه، والنازلين فيه.

وقد صار كبره واتساعه مشكلة، إذ كان علينا أن نصعد وننزل ونتنقل خلف الإشارات المكتوبة بالإسبانية والإنكليزية، وتكون الإسبانية في الأغلب هي الأعلى في الكتابة، حتى وصلنا إلى منطقة تسلم الأمتعة.

لم يستقبلني أحد، لأنني لم أبرق لأحد بذلك رغم وجود أناس أعرفهم

ويعرفونني من قبل في الجزيرة، وذلك لكوني لم أحدد وقت الرحلة إلا قريباً، ولكوني لديَّ متسع من الوقت، وعادتي أن أحرص على الإبراق لمن يستقبلني اغتناماً للوقت، وكنت وحدي في كل هذه الرحلات الكاريبية.

وقد رأيتهم وضعوا مكتباً في منطقة تسلم الحقائب خاصاً بالاستعلام عن الأمتعة به كما رأيت شرطية معها كلب أسود ضخم يتشمم بعض الحقائق حذراً من وجود مخدرات فيها، وهي تقوده بسلسلة طويلة، وقد وقفت عند حقيبة كبيرة ليس عندها أحد فتشممها دون أن يصدر عنه ما يدل على أنه أحس بأن فيها شيئاً غير معتاد.

والموظفون في هذا المطار كثير، ويدققون في أكثر الأشياء، وأما بالنسبة إليَّ فإنني لم يعترضني أحد، ولذلك لم أضطر إلى ابراز جوازي حتى ضباط المكوس (الجمارك) وإنما ذهبت مع البوابة التي يمر منها من لا يحملون ما يستوجب التفتيش من دون أن يعترضني أحد.

والشيء الذي عجبت له هو مكتب تحويل الرحلات في جوانب المطار وفيه موظفون عدة يتسلمون حقائب المسافرين ويضعون عليها بطاقات التسلم، ثم يرسلونها مع سيور ضخمة متحركة.

وبعد منطقة تسلم الحقائب كان الخروج من المطار متعباً بسبب طول ممراته وتعرجها ومع ذلك كانت غاصة بالمسافرين والقادمين الذين يظهر عليهم كما لو كانوا من أهل أمريكا الوسطى، مع أنهم من أهل البحر الكاريبي بالنسبة إلى موقع جزيرتهم فهم في الغالب ممن يسمون بالمستيسز وهم المختلطون ما بين الأوروبيين الجنوبيين الذين يسمون باللاتينيين- نسبة إلى لغاتهم المتفرعة من اللغة اللاتينية، وليس إلى أنسابهم اللاتينية- وقد ذكرت ما

يـــتعلق بأولئك على وجه الخصوص وبأمريكا الوسطى على وجه العموم في كتـــب الرحلات التي كتبتها عنها وهي أربعة كتب أحدها مطبوع منذ سنوات تحت عنوان (رحلات في أمريكا الوسطى)[1].

وينبغـــي أن يتنـــبه المـــرء إلى أن الفرق بين أقطار أمريكا الوسطى وأقطار الـــبحر الكاريبي أن أمريكا الوسطى أرض يابسة ضيقة على هيئة لسان واقع بين المحيطيـــن الهادئ والأطلسي، تمنع من اختلاط مياههما، وقد شقت في هذا اللسان الضـــيق قناة بنما الشهيرة فصارت السفن تبحر من أحد المحيطين إلى الآخر من هـــذه القـــناة، إلا أنها أي القناة صارت تفصل بين جزء من اليابسة في هذا المكان فجعلوا فوقها جسراً عالياً تمر منه السيارات من فوق قناة بنما.

أما أقطار البحر الكاريبي وهو الواقع بين الأمريكيتين مثل لسان اليابسة المذكـــورة إلا أنه بحر فيه جزر، وجميع أقطاره هي جزر أغلبها صغيرة ما عـــدا جزيرة كوبا فإنها كبيرة تليها جزيرة _(هسبنيولا) التي فيها جمهوريتا الدومنيكان وهاييتي.

وأعـــود إلـــى الحديـــث عن المشاهدات فأقول: إن المرء لا يستطيع أن يخرج من هذا المطار إلا إذا استرشد باللافتات.

مدينة سان هوان:

ركبـــت سيارة أجرة كانت واقفة من صف طويل إلى فندق كنت أخذت اسمه من قبل من أهل جزيرة سان مارتن اسمه (فندق بيير) أهله في الأصل من الفرنسيين.

(١) وطبع آخر بعنوان (بيليز والسلفادور) وآخر طبع بعنوان (هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا) وتحت الطبع الآن (المكسيك وقوتيمالا).

وسائق السيارة رجل ضخم في لون العرب الجنوبيين، لكن تقاسيم وجهه غير ذلك، وكلمته بالإنكليزية فكلمني بالإسبانية ظناً منه أنني من سكان أمريكا الوسطى أو الجنوبية الذين يعرفون الإسبانية حتى أخبرته أنني لا أعرف الإسبانية مع الأسف، وكان جافاً متحفظاً مع الغريب مثل كثير من أهل هذه الجزيرة، سألته عن أجرة الركوب إلى ذلك الفندق فقال: ١٢ دولاراً والحقيبتان مجاناً يقصد حقيبتيَّ اللتين إحداهما يدوية.

وقد حدثني أن أصله إسباني، ولكنه مولود هنا، وظني أنه ولد هنا لأكثر من أب عاشوا في الجزيرة لأن وجهه ليس عليه إشراق، وفيه تقاسيم سكان الجزيرة الذين يقل التناسب في تقاسيمهم، لذلك تخلو وجوه أكثرهم من الجمال الذي يحس به العربي.

انطلقت السيارة مع شوارع حافلة بالسيارات وعليها الأبنية الضخمة المتعددة الطبقات حتى ليحس المرء أنه في وسط مدينة أمريكية شمالية، وليس في جزيرة كاريبية، ولا شك في أن سبب ذلك يعود إلى الإدارة الأمريكية السائدة في الجزيرة، وإلى وجود الشركات الأمريكية هنا التي تجتذبها الجزيرة بتخفيض الضرائب عنها لأن للجزيرة استقلالاً داخلياً قانونياً، فليست ولاية أمريكية ولا هي مستقلة ولا هي مستعمرة، وإنما هي جزيرة تديرها الولايات المتحدة في الوقت الحاضر، وتتولى رعاية شؤونها الخارجية، ولذلك تطبق عليها ما تطبقه على الولايات الأمريكية من حيث دخول الأجانب إليها، ولكنها في الوقت نفسه ذات استقلال داخلي في شئون أخرى داخلية وإدارية محلية.

المؤلف في أحد شوارع (ريوبيدروس) في سان هوان بورتوريكو

ومثلما أن الطابع الأمريكي هو الغالب عليهم في الأبنية والشوارع وكثرة السيارات، ما عدا أهل المدينة القديمة فإنه الغالب عليهم ولو إلى حد ما في عبادة الدولار، إذ تسمع في أمريكا كلمة دولار في كل مكان من الإعلانات الإذاعية والتلفازية إلى الكلام المعتاد فكأنه المعبود الذي لا يزاحم ذكره ذكر شيء آخر.

وصلت الفندق الذي رأيت في مكتب الاستقبال فيه امرأة في لون العربيات، إلا أنه لا رونق على وجهها ذكرت أن أجرة الغرفة فيه هي ٨٩ دولاراً تضاف إليها ٧% خدمة فيكون ذلك قريباً من ١٠٠ دولار.

وأنزلوني في غرفة جيدة في الطابق الرابع، فيها ما في غرف الدرجة الأولى، وفيها إضافة إلى ذلك (فيديو) تعرض شرائطه من جهاز التلفزة ويشتمل على غرائب (الأفلام) المرعبة وفيها قناة تعرض الشرائط الخليعة، كل ذلك إلى جانب البرامج المباشرة المعتادة.

عشاء بورتوريكو:

خرجت من الفندق أبتغي العشاء في مطعم في الحي الذي يقع فيه الفندق، فوجدته كبيراً لا يجلس الإنسان فيه إلا إذا أجلسه موظف مختص، فظننته غالياً مثلما عليه أمثاله من المطاعم الفخمة في جزر البحر الكاريبي، وطلبت شواء من لحم البقر الذي لم أذقه منذ أن غادرت الرياض، لأنني كنت أطلب السمك تحرجاً من عدم نظافة اللحم، وليس من أجل عدم حله، لأن الذين ذبحوه هم من أهل الكتاب، في رأيي.

وعرفت من ذلك أننا كما قال أحد كبار الأعراب حينما قالوا له وهو يحتضر: تشهد يا فلان، يريدون: قل أشهد أن لا إله إلا الله، فظن أنهم يقولون له: اشهد بشيء من الأشياء إذ قال: اشهد أن الحمض من البل وإن البل من الحمض.

والبل: الإبل، والحمض هو أشجار من أشجار المرعى ملحة تطيب عليها لحوم الإبل، ولا بد للإبل منها وإن لم تكفها وحدها.

وجاءوا بحساء من الخضار في المقدمة يكفي لاثنين أو ثلاثة وفق ما اعتدت شربه من مقادير الحساء، وقد وضعوا في الشربة حباً أسود كأنه من حب الماش المسمى عند بعض الناس بالعدس الأبيض، وبصل مبشور في إناء وحده، وخضار كثير مطبوخ دون مرق، وزجاجة من الماء المعدني وسلطة خضراء كثيرة، وكل ذلك بـ ١٠ دولارات ونصف وهذا رخيص جداً.

وقد خرجت من هذا المطعم الذي كان مليئاً بالآكلين حتى إن بعضهم لم يكن يجد له مكاناً فيقف منتظراً لفترة من الوقت.

وقضيت وقتاً في مشاهدة بعض (الأفلام) الغريبة ومنها واحد يحكي قصة عالم ومساعديه استطاع أن يتدخل في نمو الخلايا الحيوانية فيجعلها تكبر وتنمو بحيث أراد أن يكون الأرنب مثلاً في حجم الخروف، وقد تم له ما أراد من التكبير، إلا أنه وقع في هذه الحفرة التي حفرها، إذ لم يستطع السيطرة عليها، وهاجمه مع مرافقيه فأر عملاق هم الذين تدخلوا في خلاياه حتى صار كذلك في مناظر مرعبة، إلى جانب بعض المواد الكيمائية التي يقول الشريط: إنهم طوروها فخرجت من نطاق السيطرة، إذ صارت تتضاعف أحجامها وتعظم أخطارها، ولم يخلوا هذه الأشرطة الغريبة من الإعلانات التجارية، كما هي عادتهم في الإستغلال التجاري لأكثر الأشياء.

يوم الاثنين ١٩٩٥/١٠/٣٠م:

صباح بورتوريكو:

صحوت بعد طلوع الفجر فأسرعت للصلاة، ثم أزحت ستارة النافذة العريضة، فانكشفت عن منظر متناقض يجمع بين أبنية ضخمة عالية، قد تصل طبقاتها إلى العشرة إلى جانبها في المنطقة نفسها بيوت لاصقة بالأرض من طابق واحد أو طابقين سقوفها المسنمة التي أكثرها من الصفيح المقبول المظهر، ثم نزلت أبتغي طعام الإفطار الذي ذكروا لي البارحة أنه بالمجان، لأنه محسوب على أجرة الغرفة، وقد أسموه فطور المناطق المدارية والحارة (تروبكال بركفاست).

صورة التقطها المؤلف من نافذة الفندق لجانب من مدينة سان هوان

والأمـــر فـــيه كذلك لأن الفاكهة المعروضة فيه بكثرة لافتة للنظر هي فاكهة المناطق الحارة، وهي الموز والباباي والأناناس الطازج إلى جانب نوع من البطيخ غير الجيد، وعصائر الفاكهة المدارية، أما بقية الطعام فإنه معتاد مـــن الخـــبز والجبـــن واللبـــن وأكثر ما فيه القهوة الأمريكية السوداء التي يشربونها في الإفطار كما يشربون الماء أو عصير الفاكهة، ومن العجيب أنهم يبدءون بها إفطارهم.

وأباريق القهوة كلها من الزجاج.

البحث عن المسلمين:

ركبـــت ســـيارة أجـــرة من الفندق وأريت سائقها عنواناً لأحد المسلمين أحملـــه، والسائق (بورتوريكوي) سمح، وقد اتخذت هذه النسبة مدلولاً خاصاً يـــدل على الأسمر أو الخلاسي الذي لونه في لون العرب الجنوبيين أو أكثر سمرة، وتقاسيم وجهه خالية من التناسب، وليس عليه رونق أو طلاوة، فكان يحدثني بالإنكليزية عما أسأله عنه حتى وصلنا إلى المنطقة التي فيها العنوان، وأنـــا أقصد متجراً لأحد المسلمين اسمه (الحاج محمود سليمان) يقع في حي اسمه (ريوبيدروس) ومعناه بالإسبانية (نهر الحجارة)، إلا أن السائق لم يهتد إلـــيه بســـرعة، وإن كان وصل قريباً منه، وبينما كان يسير بالشارع اقترب شـــخص مني وأنا في السيارة، وقال: السلام عليكم، فقلت ما جاء في الأثر: وأنى بأرضك السلام!

لـــم يكـــن الشخص يعرفني ولا أعرفه، ولم يخبره مخبر عن وصولي، ولكـــنه رأني وعرف من مظهري أنني عربي مع كثرة الذين يشبهون العرب في اللون هنا، ولكنهم لا يشبهونهم في تقاسيم الوجوه.

لقـد كان وجود هذا الرجل بالنسبة لي مفرحاً جداً، فإني أريد أن أرى أحداً من المسلمين حتى يدلني على رجل عربي مسلم وإذا به هو الرجل الذي وجدت فيه ما أريده.

تركت سيارة الأجرة تذهب وأمسكت بيده، فقال: اسمي أكرم جمجوم وأنا فلسـطيني يقيم في بورتوريكو منذ ربع قرن تقريباً وهذه المحلة التي اسمها (ريوبـيدروس) فـيها عـدد من العرب المسلمين يقدر بما بين ألفين وألفين وخمسـمائة، ثـم ذهب بي إلى متجر الأخ الحاج محمود سليمان الذي أحمل اسـمه، وتبيـن لي أن هذا الأخ الذي لم أسمع باسمه من قبل فضلاً عن أن أعرفه وهو (أكرم جمجوم) صار انفع لي من الحاج محمود بكثير.

وجدنـا الحاج محمود في متجره الواسع، وتعمل فيه امرأة أظنها زوجته وشاباً أظنه ابنه.

رحب بي الرجل بتحفظ وأسرع يسكب القهوة من زمزمية جاهزة عنده، وهو رجل سمح الوجه عليه سيما التدين ظاهرة.

ولاحظـت باستقراب أن أكثر العرب هنا قد ركبتهم سمرة غير معهودة فـي العرب، وذلك من أثر العيش في هذا الجو الحار شبه الاستوائي، ولكن العـرب رغم السمرة التي أصابتهم لا يزالون على وجاهة أشكالهم، وجمال طلعـاتهم، وبخاصـة إذا قورنوا بالشعب هنا الذي لا تكاد تجد فيهم وسيماً، وحتى نساؤهم فإن الجميلة منهن نادرة، ويصح أن يقال فيهم ما كان بنو قومنا يقولـون فـي المرأة التي لم ترزق حظاً من الجمال: إنها (مستورة) لولا أن الستر بعيد عنهن، منذ أن ولدتهن أمهاتهن.

جرى حديث غير ذي بال عن أحوال العرب والمسلمين في متجر الحاج

محمود سليمان، فهو لا يحب فضول الحديث، إضافة إلى تحفظه تجاه شخص لا يعـرفه مع أنني عرفته بنفسي، وأنني من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكـرمة، وقصـدي الإطـلاع على المساجد والمدارس الإسلامية في هذه الجزيرة، وأريته جواز سفري حتى يتأكد مما قلته.

إلى سفارة الدومنيكان:

جمهوريـة الدومنيكان هي التي أنوي السفر إليها بعد بورتوريكو ولست علـى ثقة من أن أحصل على سمة الدخول إليها من مطارها، كما هو الحال بالنسـبة إلى دول البحر الكاريبي الصغيرة التي تقع في جزر صغيرة ترحب بالسـياح، وأهلهـا الأصـلاء سـود لا يضيع بينهم الغريب كما أن جزرهم لصـغرها لا يسـتطيع أحد أن يعمل عملاً ذا بال بخفية، إلا ما كان من أمر تهريب البضائع الخفيفة الحمل الكثيرة القيمة.

ركبت سيارة أجرة ومعي الأخ أكرم جمجوم الذي كرر أن أسرته الفلسطينية لهـا علاقـة بأسرة جمجوم التي تقطن جدة الآن ومنها أعيان ووجهاء منهم على سبيل المثال الأستاذ أحمد صلاح جمجوم وزير التجارة السابق في المملكة.

والأخ (أكـرم) يجـيد الإسـبانية ويتكلمها بطلاقة، وجدنا القنصلية في الطابق السابع من بناء يتألف من عدة طوابق، ويقع في حي (سان تورسي)، ووجدنا عدداً من الناس ينتظرون في غرفة ضيقة فيها نافذة كنوافذ الصرافين في البنوك، وعليها موظفة مسنة، ما أن رأت جوازي (دبلوماسيا) حتى تركت مكانهـا ودخلت إلى داخل المكتب فحضرت موظفة أعلى منها وأدخلتني مع الأخ أكـرم إلـى داخل مكاتب القنصلية وأجلستنا في مكتبها الذي يطل على جزء من المدينة صورته من النافذة هذه.

ثـــم حضر القنصل بنفسه ولم يطلب مني تعبئة أية أوراق، ولم يطلب صـــورة وإنمـــا كتب المعلومات من الجواز بنفسه ثم أسرع يختم عليه سمة دخول سياسية وهو بادي السرور.

ولا شـــك فـــي أن ذلك يرجع إلى السياسة المتزنة الحكيمة التي تسير عليها حكومتنا تجاه الدول البعيدة، وهي السياسة التي لا تتدخل في الشئون الداخلية، ولا تدخـــل فـــي نزاعات بين أطراف دولية، إضافة إلى ما يؤملونه من علاقة مأمولة بوساطة زيارة رجل يعتبرونه (دبلوماسياً) لكونه يحمل جواز سفر سياسياً.

ولم يستغرق منحي هذه السمة (الدبلوماسية) إلا مدة لا تتعدى أربع دقائق أو خمســـاً، وهذه مدة قياسية لا أعرف مثيلاً لها إلا ما كان من أمر قنصلية (سوازيلاند) في مدينة جوهانسبرج من جمهورية جنوب إفريقيا العنصرية في ذلـــك الوقت، وقد ذكرت ذلك مع زياراتي لسوازيلاند في كتاب: (إلى أقصى الجـــنوب الإفريقي) فقد منحتني القنصلية سمة دخول سياسية إلى بلادها في مدة لا تزيد في ظني على خمس دقائق.

ونزلـــنا مـــن القنصلية دون أن نضيع وقتاً فركبنا حافلة لم ندفع لركوبنا فيها أجراً لكون الأخ أكرم يعرف سائقها الذي هو السائق والجابي، وعلى من يصـــعد إلى الحافلة أن يكون صعوده من الأمام فيجد صندوقاً بجانب السائق يضع فيه الأجرة.

وقال الأخ أكرم جمجوم: إنها أرخص من التاكسي وأحسن، وهي أفضل لـــي لأنني أطلعت على كيفية تصرف الركاب فيها الذين كان بعضهم يصعد، وبعضهم ينزل، وهي حافلة كبيرة واسعة حسنة التنجيد.

المقصف العربي:

المطاعم العربية معروفة الآن في أكثر أنحاء أمريكا الجنوبية والوسطى وأكثرها يملكه اللبنانيون، وتعتبر من المطاعم الغالية التي يرتادها المثقفون والقادرون، ولا يقولون في هذه المنطقة للمطعم اللبناني: لبناني وإنما يقولون: عربي، بخلاف المطاعم اللبنانية في أوروبا، فإنهم يسمونها المطاعم اللبنانية، وربما كان مرجع ذلك إلى وجود مطاعم عربية أخرى في أوروبا لغير اللبنانيين كالتوانسة والمغاربة.

إلى جانب أن كون المرء عربياً هو مما يفتخر، ويعتز به، ذلك بأن العرب في أمريكا الجنوبية هم جماعة متميزة بالذكاء وتحصيل المال مع حسن المعاملة والكرم وعدم الاستقصاء فيها.

وقد ذهبنا اليوم إلى مقصف عربي أو هو مطعم عربي للمأكولات الخفيفة، إلى جانب المبيعات الخفيفة وذلك للقاء صاحب المقصف وهو أخ فلسطيني مسلم كان يعيش في جمهورية الدومنيكان التي سأذهب إليها بعد بورتوريكو وأردت أن أعرف منه عنوان أحد من المسلمين، أو عنوان أي مركز أو جماعة إسلامية هناك.

الإسبان المتغيرون:

نزلنا من الحافلة في محطة لها بعيدة قليلاً عن المطعم العربي، وقال الأخ أكرم: المكان قريب والتمشي أفضل، وتجلى مظهر هذا الشعب البورتوريكوي- مع الاعتذار عن ثقل هذه النسبة- من رؤية جماعات من الناس في الشوارع والمتاجر وغيرها، فإذا به شعب ليس فيه مما يدعيه من الأصل الإسباني إلا القليل، فالمظهر مظهر (المستيسوز) أي المختلطين،

ولكـــن ذلك الاختلاط بدا كما لو كان حصل أكثر من مرة، وعلى أكثر من صـــعيد،، فالألوان أصبحت كدرة صدئة، والتقاسيم أبعدت عن تقاسيم الوجوه الإسبانية الأصيلة، والجمال في الوجوه نادر، وعكسه هو الذي يصافح العينين على استكراه.

وكـــل الذي بقي لهم هو اللغة الإسبانية، وبقايا خمسمائة عام مضت من الـــنفوذ الإسباني الثقافي قبل أن يسيطر الأمريكيون على الجزيرة، ويفرضوا إدارتهم وأكثر إرادتهم عليها.

الأسعار المتفاوتة للتذكرة:

ذهبنا إلى مكتب سياحي يعرفه المرافق الأخ أكرم جزاه الله خيراً للحجز مـــنه إلـــى سانتو دومينقو عاصمة جمهورية الدومنيكان بعد أن حصلت على سمة الدخول إليها.

فوجدنا في المكتب امرأة من الموظفين المختلطين، ولم تكن لديَّ تذكرة مقطوعـــة مســـبقاً مـــن بورتوريكو إلى (سانتودومينقو) لأن رحلتي إليها في الأصل كانت من جامايكا التي لم أر حاجة بي إلى زيارتها، فكان العجب أن صارت تخبرني بأسعار تذكرة السفر المختلفة في درجة واحدة وهي الدرجة السياحية، قالت: قيمة التذكرة على الطائرة الكوبية ٧٥ دولاراً أمريكياً وعلى الطائـــرة الدومنيكـــية التي تتبع الخطوط الوطنية ١٠١ مائة دولار ودولار واحـــد، وعلى شركة (أمريكان إير لاين) الأمريكية ١١٦ دولاراً، وكلها تقلع غداً في مواعيد مختلفة وكلها ذات طائرات أمريكية متشابهة.

واخـــترت السفر مع الطائرة الكوبية لكونها أرخص، ولكي أجرب السفر مع هذه الشركة التي لم أركب معها من قبل فاشتريت تذكرتها بـــ ٧٥ دولاراً.

وقـد أخبرتني المرأة نفسها، وموقفها من الجميع وآحد، أن الكوبية جيدة ووجدتها كذلك كما سيأتي.

أمـا المطعم أو المقصف العربي فاسمه (بكر بيكري) أي: فطائر بكر، وذلـك لكـون صـاحبه اسمه (بكر) ولم نجده وإنما وجدنا أخاً له لا يعرف الدومنـيكان، فانتظرنا قليلاً ولم يحضر الأخ، ولم نستطع الاتصال به هاتفياً، فأخذنـا رقم هاتفه وأخبرناه برقم هاتفي في الفندق على أمل أن أحصل منه على أية معلومات عن المسلمين في جمهورية الدومنيكان، ومعرفة أي عنوان قد يدلنا إلى ذلك.

وسـرنا على أقدامنا عائدين إلى (حي ريوبيدروس) أو (نهر الحجارة) فسلكنا الشارع الرئيسي فيه وهو طويل اسمه (ذير ديقو).

وبعضـهم يسمى حي (ريو بيدروس) بالبلدة مع أنه متصل بمدينة سان هوان وهو الآن حي من أحيائها.

وقد حصل لنا اختلاط أكثر بالناس فزاد يقيني من هذا الشعب بأنه مختلط متغـير، واختلاطه مما أبعده عن مستوى الذوق العربي، وبخاصة هذا الذي يشعر به العربي من التنافر في تقاسيم الوجوه، وأحياناً حتى تقاطيع الجسم، إذ تغلـب الـبدانة، أو التوسط على القادرين مالياً فتنعدم الرشاقة في أجسامهم وتتنافر التقاسيم في وجوههم حسبما يشعر به.

وقـد حملنـي هذا على أن استمتع برؤية هذه الفروق التي وإن كنت لا أشـعر بأن فيها جمالاً، فإن مجرد رؤيتها وغرابة منظرها مما يغري المرء مثلي بتأملها.

وأمـــا نســـاؤهم فإن الأمر في مظاهرهن التي يراها السائح العابر مثل باقـــي السكان، والجامع لمرآهن هو عدم الجمال، مع وجود قلة نسبية لا يعتد بها خلاف ذلك.

وقد ذكرني ذلك بمنظر سكان المدينة البرازيلية الكبيرة (ريودي جانيرو) الأصلاء الذين يمسون (كاريوكا) فهم مختلطون اختلاطاً أكسبهم طابعاً خاصاً اتســم بعـــدم الوجاهة والجمال، حتى ذو اللون الأبيض منهم يجد المرء في ملامحـــه شيئاً من الاختلاط بالألوان الأخرى مثل صغر الأنف أو الأذن، أو غلظ ظاهر في الشفتين.

وقد قابل الأخ جمجوم بعض العرب من مسلمين ومسيحيين بعضهم كان يســلم علـــيه ويعرفه بي في متجره، وبعضهم كان يقابلنا في الشارع، وعلق على ذلك بقوله: العرب لهم متاجر عديدة في (ريوبيدروس) ثم دخلنا مطعماً عربـــياً راقياً اسمه (مطعم الشرق الأوسط) يملكه أحد المسلمين الفلسطينيين، ولكـــن الذيـــن يعملون فيه هم من اللبنانيين، ويقدم الأطعمة اللبنانية الجيدة، وجميع اللافتات فيه هي عربية ما بين آيات قرآنية وأقوال عريقة، وقد أعدوا قاعة فيه على هيئة جلسة عربية فيها حشايا وخالية من الكراسي.

اســـتقبلتنا فـــيه سيدة لبنانية مسلمة قدمت لنا ما طلبناه من حمص ومتبل ولحـــم مشـــوي إلى جانب الشراب من عصير البرتقال والكوكاكولا، وطلبت ثمـــناً له ٣٣ دولاراً أمريكية للشخصين، وقد لاحظت البطء في إنجاز الطعام إلى جانب الغلاء بالنسبة إلى هذه البلاد، وأخبرونا أن هذا المطعم وأمثاله من المطـــاعم العربـــية تعتـــبر – كما قدمت– من المطاعم الغالية التي يرتادها النخبة مع أن أهله ذكروا أن أكثر اعتمادهم على الطاعمين العرب، وأنهم من

الكثرة بحيث يعمرون هذا المطعم، وإن كان الآخرون من أهل البلاد يدخلون هذا المطعم ويفضلونه على غيره.

ورغم كون صاحبه مسلماً فإن زجاجات الخمر بأنواعها معروضة فيه عرضاً ظاهراً، وقال أحد العرب: إنه لا يستطيع أن يجتذب إليه أحداً من أهل البلاد إلا إذا كانت في المطعم هذه الخمور.

فذكرت بذلك ما كان أخبرني به الأخ عبدالعزيز بن عمر رئيس وزراء دولة (بروناي) الإسلامية عند ما زرتها قبل استقلالها أن خطوط (بروناي) الجوية كانت تقدم الخمر لركابها وأنهم منعوها فيها وأخلوها من الخمر، فكانت النتيجة وبموجب شهادة المحاسب القانوني وهو غير مسلم أن دخلها زاد عن السنوات التي كانت فيها تقدم الخمور.

ونحن من الذين يؤمنون بالنواميس الكونية التي خلقها الله سنناً لهذا الكون الواسع ونعرف أن من هذه السنن أن من قدم شيئاً لشخص يرغبه، فإنه يميل إليه بطبعه، ولكننا نؤمن بقوله تعالى: **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾** ومن ذلك أن من ترك تقديم الخمر في مطعمه وهو على ما هو عليه من الغلاء ومستوى الخدمة فإن عدد رواده قد ينقص، ولكنه لو ترك تقديم الخمر وقدم عوضاً عن ذلك مزايا أخرى مثل الرخص في السعر، والتميز في الخدمة فإن ذلك سوف يعوضه عما يفقده من عدم تردد من يريد أن يشربوا الخمر مع الطعام، لاسيما إذا عرفنا أن قسماً كبيراً من المسيحيين أهل هذه البلاد وغيرها قد عرفوا مضار الخمر، وما تسببه المواد الكحولية من أضرار على الجسم والعقل فهجروها، ورغبوا فيمن يعاونهم على هجرها وهم كثر، وإن لم يكونوا الأكثر بين السكان.

المركز الإسلامي:

هـذا هـو المركز الإسلامي الرئيسي في (بورتوريكو) وإن كانت هناك مراكـز أخرى ومساجد فيها ولكن أكثرها يتبع هذا لأن الإخوة المسلمين هنا أرادوا أن يعملوا متوحدين فصاروا يرعون هذه المراكز.

المركز الإسلامي في ريوبيدروس في بورتوريكو

ذهـــب معي إلى زيارة المركز أخوان من المسلمين ليس أحدهما الحاج محمود سليمان، إذ كنت طلبت منه أن أزور المركز بصحبته فقال: ينبغي أن يكون ذلك بمعرفة إمام المركز وحضوره، فغضبت منه، وتعرفت على أخوين كريميـــن أحدهما الأخ مروان عباس وهو أخ فلسطيني تاجر يحمل بضاعته معـــه علـــى سيارته ويبيعها، ولكنه متحمس لأمور دينه، وعامل لها، وممن يتســـمون بالعقل وحسن التقدير، ويسكن في هاتيو التي تقع بجانب الرصيبو التي سنذهب إليها فيما بعد.

والثاني: (حسن المناصرة) من الخليل في فلسطين وهو تاجر ذو حانوت كبير قريب من المركز، لبثنا في حانوته فترة ننتظر مجيء الإمام أو المؤذن الذي معه مفتاح المركز، وذكر لنا عن نفسه أنه يبيع بضائع بالجملة على أهل الحوانيت من العرب في الغالب، وأن تجارته رائجة، ولا تعترضها عقبات.

ثم دخلنا إلى المركز الإسلامي ويتألف من مبنى ذي طابقين، الأسفل حوانيت تؤجـــر لصالح المركز، والثاني مسجد واسع، وذلك بصحبة إمام المركز ومرشد المسلمين هنا وهو الشيخ (حسن أحمد أبونار) من فلسطين، وهو رجل جامعي، بل إنه يحضر لشهادة الدكتوراه ومحمود السيرة عند المسلمين.

وللمركز جمعية قوية يرأسها الدكتور شكري الخطيب وهو فلسطيني يقيم مـــنذ مدة في بورتوريكو، وكان قبل ذلك في الولايات المتحدة، وسوف نقابله فيما بعد، وقد أسس المركز الإسلامي هذا في عام ١٩٨١م.

وقد أخبرني الإخوة أن هذا المركز الإسلامي لا يحتاج إلى مساعدة مالية، ولكنهم يبحـــثون عـــن المســـاعدة لمساجد ومراكز أخرى اشتروا أرضها ولم يستطيعوا البناء عليها حتى الآن، ومنها مركز سوف نزوره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

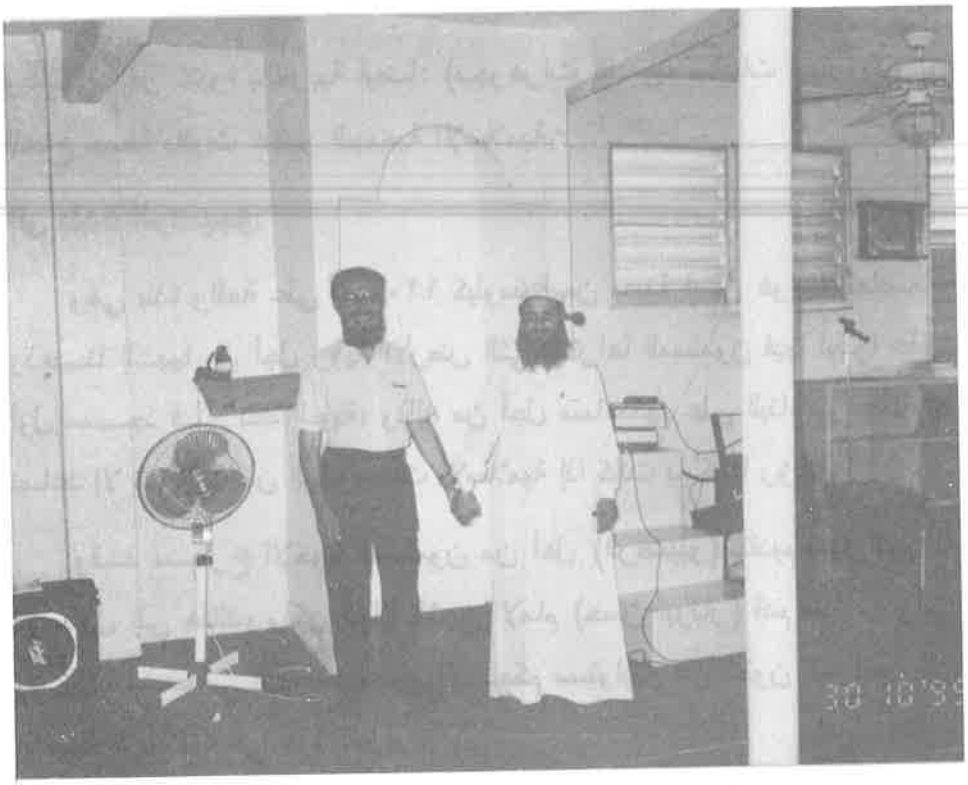

عند محراب المركز الإسلامي في ريوبيدروس
في بورتوريكو مع إمامه الشيخ حســـن أبونار

ويقع المركز على شارع بادروي كولون وبادروي حسب ما أخبرونا به معـــناها: الأب، وكولـــون: اسم شخص من الأشخاص، وذلك في الحي الذي يكثر فيه العرب وهو حي (ريوبيدروس).

ذكرت أن الحوانيت والمتاجر التي في أسفل المركز هي ملك للمركز أي للجمعية الإسلامية التي تشرف عليه، وهي التي تؤجرها للناس، ولذلك رأيت مكـــتوباً علـــى بـــاب أحدها بالعربية الآية الكريمة ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾

وعلـــى آخر كتبوا بالعربية أيضاً: (مجوهرات القدس، ساعات سيتزن) وهو للحاج جمعة ياقوت عضو الجمعية الإسلامية.

إلى بلدة الرصيبو:

وهي بلدة واقعة على بعد ١٢٠ كيلومتراً من مدينة (سان هوان) العاصمة، وذهبـــنا إلـــيها من أجل رؤية الأرض التي اشتراها المسلمون فيها ليبنوا عليها أول مســـجد فـــي تلك الجهة، وذلك من أجل مساعدتهم على البناء، وعادتنا ألا نساعد إلا ما رأيناه من المشروعات الإسلامية إذا كانت بإمكاننا رؤيته.

وقـــد ســـارع الإخوة المسلمون من أهل (الرصيبو) بتقديم سياراتهم لنا للوصول إلى هناك، ولكن أخانا الشيخ الإمام (حسن ابونار) قدم سيارته وأبى إلا أن يذهـــب بي إليهم بنفسه، وذلك بحكم مسئوليته عن شئون المسلمين من الناحية الإسلامية في هذه الجزيرة.

وقـــد وافقنـــي ذلك لأنه زميل في طلب العلم ومثقف، وقد أخبرني أن السفر إلى تلك الجهة مريح للراكب وللسيارة لأنه سيكون مع طريق سريع (هاي وي) مريح.

عندما سمعت اسم هذه البلدة لأول مرة (الرصيبو) ذكرت اسم بلدة أخرى في مكان آخر من أمريكا الجنوبية، وبلغة أخرى شقيقة للغة الإسبانية لغة هذه الـــبلاد هي مدينة (رصيف) عاصمة ولاية (برنانبوكو) في شرقي البرازيل، وقـــد فسر لنا دليل عارف من أهلها معنى اسمها بأنه ميناء البحر، وقال: هذا من اللغة العربية أخذه البرتغاليون منها عندما كان العرب يحكمون البرتغال.

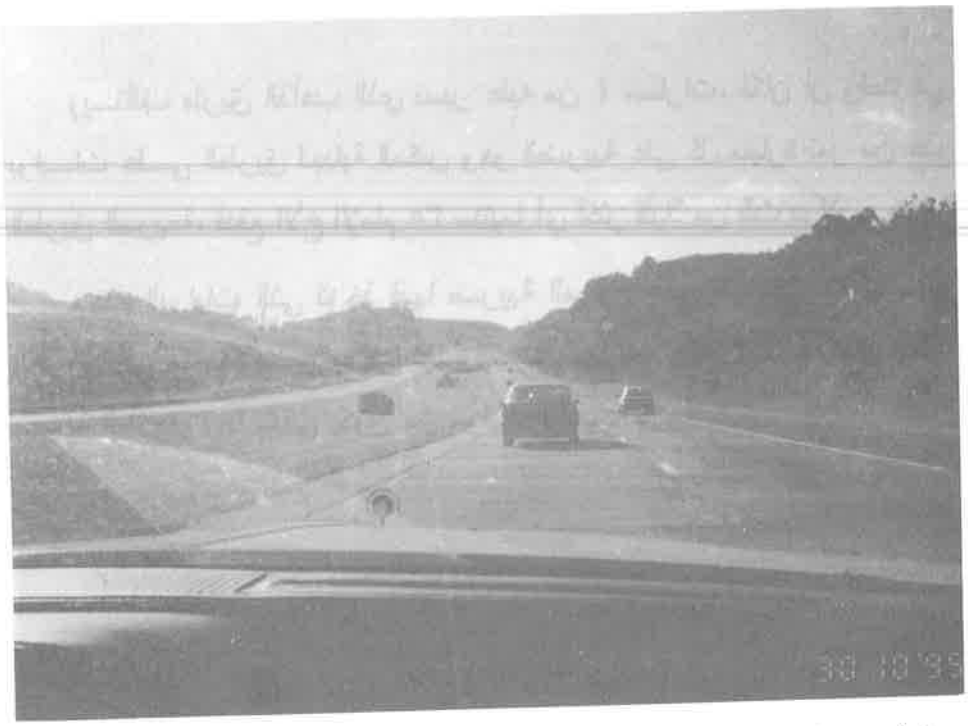

الطريق الريفي في بورتوريكو قبيل الخروج من حدود مدينة سان هوان

وهـذا صـحيح من ناحية كون الميناء يسمى (بالرصيف)، ولا يزال العرب الآن يقولـون لمثله (رصيف الميناء)، أما هذه البلدة (الرصيبو) فإنها أيضاً واقعة على شاطئ البحر، وأغلب الظن أنها أيضاً من كلمة (رصيف) بمعنى ميناء،ولكن أهلها هم من التجار العرب الذين لا يتعمقون في معرفة مثل هذه الأسماء.

ويذكر أن العرب فيها قليل، ولكنهم الذين قابلناهم وتباحثنا معهم من أهلها.

انطلقـنا مـن سـان هوان في الثالثة والثلث ظهراً قاصدين (الرصيبو) فسـلكنا شـارعاً سريعاً عريضاً اسمه (الهاي وي رقم ٢) وهو شارع طويل ذكروا أنه يمر بكل أطراف الجزيرة.

ويـتألف طريق الذاهب الذي نسير عليه من ٤ مسارات، فكان أن وقعنا في بوابـات علـى الطريق لجباية المكس وهو الضريبة على كل سيارة تمر من هذه الطريق السريعة، فدفع الأخ الإمام ٣٥ سنتيماً أي أكثر قليلاً من ثلث دولار.

وهذه البوابات التي تؤخذ فيها ضريبة المرور على كل سيارة تسير مع الطريق هي متعددة سنمر بعدد منها والقصد منها هو جمع المال للإنفاق على صيانة الطريق وما يتبقى يكون من موارد البلدية.

صورة للطريق في بروتوريكو قبيل الوصول إلى بلدة الرصيبو

وقــد نجحت هذه الطريقة نجاحاً كبيراً في الولايات المتحدة الأمريكية حيث حصلت منها أموال كبيرة، وكانت بعض الشركات تلتزم القيام بإنشاء الطريق كله شــرط أن تستغل مثل هذه البوابات لفترة معينة من السنين قد تكون ثلاث سنوات أو أكــثر، وبعد المدة المذكورة تتناصف مع الحكومة موارد الطريق أو تسلمه لها، فتأتــي شــركة أخرى تلتزم بأن تدفع مبالغ محددة من المال لأنها تكون قد عرفت بــالفعل مســتوى دخــل الطريق من هذه الضريبة، أو تكون لها حصة معينة من الدخل مهما بلغ من زيادة أو نقص والبقية للحكومة.

ولا أدري لــم لا تقوم الدول المحتاجة لمثل هذه الطرق ولديها سيارات كثيرة باتباع هذه الطريقة.

أمــا نحن فإن الله قد أغنانا بما منحنا من موارد نفطية فصارت حكومتنا تنشــئ الطــريق الواسع المكلف بمبالغ طائلة إن لم نقل: إنها مبالغ هائلة من الأموال، ثم تتفق مع شركات أخرى على صيانته بمبالغ مالية كبيرة، دون أن يدفع مستعملوه والمنتفعون منه أي شيء.

وتكــثر اللافتات على هذا الطريق وهي تشير على مخارج الطريق إلى قرى أو أماكن في المنطقة، وليس عليه مدن كبيرة.

ويشــق الطــريق ريفاً جميلاً بل بديعاً فهو أخضر بالغ الخضرة وتربته حمــراء جميلة كالاستوائية، مع أن المرء لا يستطيع أن يرى لون التربة إلا في أرض محفورة أو مقشورة لكونها مغطاة بالأعشاب الخضر.

وقــد يظن ظان جاء من مثل بلادنا أن هذه الأعشاب هي مثل أعشاب الربيع عــندنا مؤقــتة تزدهر وتتزخرف أيام الربيع ثم تلوي بها عوامل الجو فتجف بعد ذلــك، فــالواقع أن الجــو هنا شبيه بالاستوائي ليس فيه فصول أربعة، بل هو لا

يتغـــير طول السنة، وإنما يكون تغيره وهو تغير ليس بالكبيّر فيما إذا كان الوقت موســـم أمطـــار أو موسم جفاف مع أن موسم الجفاف المعتاد قد تنزل فيه أمطار أيضاً، وإذا نزل المطر وتواصل حسن الجو، وقل الحر فيه و العكس بالعكس.

ومـــررنا بـــبوابة ثانية لجباية الضرائب من السيارات المارة، ثم مررنا ببوابات ثالثة مثلها أيضاً.

بلدة هاتيو:

صورة مع الإمام حسن أبونار قرب بلدة هاتيو في بورتوريكو

استمر السير مع هذه الطريق الواسعة الجيدة المنتظمة التي يعجب المرء من دقـــة بنائها ومن عدم اضطرار من يسير عليها إلى الوقوف فيها، والانعطاف منها

بسبب أية موانع في الطريق، فهو مثل الطرق السريعة عندنا لا تختلف عنها في شيء إلا في شيء لا حيلة للبشر فيه، وهو هذه الخضرة الشاملة المطبقة في الأرض التي يراها من يسير على الطريق في كل اتجاهاته.

ولم يكدره إلا هذه البوابات العديدة التي تغلق الطريق وتضطر السائقين إلى الوقوف حتى يدفعوا الرسم المقرر للمرور منها، وقد مررنا حتى الآن على خمس بوابات والمراد بها خمس وقفات كل وقفة عند مجموعة من البوابات يدخل السائق مع أحدها.

والسيارات على الطريق بالغة الكثرة حتى ليحقر المرء عند كثرتها السيارات في بعض البلدان العربية المشهورة بكثرة السيارات فيها مثل بلدان الخليج.

ولكن هذه السيارات الكثيرة العدد تنساب كلها بحرية من غير مشكلات أو تزاحم لسعة الطريق وكثرة الإرشادات المرسومة والمكتوبة عليه.

وانتهينا من آخر بوابات الرسوم وهي السادسة قبل الوصول إلى (هاتيو) التي تقع بالقرب من الرصيبو، ولم ندخل إلى داخل هايتو لضيق الوقت وإلاّ فإن أخانا الكريم مروان عباس يسكن فيها، وقد بالغ كثيراً في دعوتي إلى بيته لتناول العشاء فيه حتى رجوته ألا يبالغ في ذلك لضيق الوقت ووعدته أن يكون ذلك في مرة قادمة، إن قدر لي أن أزور (بورتوريكو) بعد هذه المرة.

وقد وقفنا في الطريق عند (هاتيو) التي ينطق بعض الناس هنا اسمها (آتيو) أيضاً بالهمزة بديلة من الهاء، وذلك لمشاهدة تمثال أقاموه فيه يمثل أحد المزارعين، لكون المنطقة منطقة زراعية خصبة صالحة لزراعة قصب السكر وغيرها وصالحة أيضاً لتربية الماشية التي أهمها الأبقار، لذلك مثلوا الزارع فيها وقد احتضن حسيلاً صغيراً وهو ولد البقرة، وقد وضعوا تمثاله

على الطريق، وجعلوا حوله مستديرة كالميدان الصغير حتى تسترعي الانتباه إليه، فالتقطنا صورة حوله.

وتقـــع (هاتـــيو) على شاطئ البحر ولذلك التقطت منها صورة لشاطئ الـــبحر الذي نمت عليه أشجار النارجيل التي ثمارها (جوز الهند) وهي هنا نضرة مزدهرة.

بلدة الرصيبو:

ساحل البحر وأشجار النارجيل قرب بلدة الرصيبو في بورتوريكو

دخلنا بلدة (الرصيبو) التي نقصدها وهي بحرية أيضاً واقعة على شاطئ الـــبحر ترفـــرف فيها أشجار النارجيل النضر، فقصدنا إلى بيت الأخ الكريم

أحمـــد أسعد من نابلس في فلسطين، ويشتغل بالتجارة مثل أكثر العرب هنا، وهـــو مـــن المهتمين ببناء المسجد العاملين لذلك، وقد أسهم في شراء أرض المسجد سواء بالتبرع أو بالعمل على ذلك.

وقـــد جلســـنا في شرفة البيت في جو حار رطب مع أن الوقت الآن هو وقـــت الأصيل، ولكن هذه هي طبيعة جو هذه الجزيرة فهو حار رطب مثل جواء الجزر الكاريبية التي مررنا بها حتى الآن.

وذلـــك فـــي جلســـة مفيدة تناقشنا فيها في أحوال المسلمين في المنطقة، وكـــررت عليهم نصيحتي بأن يشرعوا فوراً في البدء ببناء المسجد الذي هو جـــزء من مركز إسلامي، ولو لم يجمعوا المال اللازم لذلك وإنما يكون ذلك بمـــا يستطيعون الحصول عليه من مساعدة يضمون إليه ما يستطيعون جمعه مـــن تبرعات داخلية منهم ومن إخوانهم المسلمين في (بورتوريكو) حتى إذا نفـــد مـــا عندهم توقفوا عن البناء وأرسلوا إلى إخوانهم المسلمين في البلدان العربـــية ومـــنهم أهـــل بلادنا، وبالذات رابطة العالم الإسلامي، وهم سوف يمدونهـــم بالمال الذي يسهم في مواصلة بناء المسجد، وأخبرتهم أنني سوف أدفع لهم الآن بعد أن أرى أرض المسجد مبلغاً رمزياً من الرابطة ليكون نواة لما يجمعونه من أجل العمل في بناء المسجد.

وقلـــت لهـــم: إننا في رابطة العالم الإسلامي قد جربنا أن كل من بدءوا العمـــل في بناء المسجد ثم طلبوا المساعدة على إكماله من إخوانهم المسلمين هيأ الله لهم من يساعدهم على إكماله.

وقلت لهم: إن هذا أول بيت من بيوت الله يقام في هذه المنطقة، وسيكون لكـــم أنـــتم الذيـــن سعيتم في شراء أرضه ثم تسعون الآن في بنائه على هذه

الأرض ثواب عظيم مستمر إلى يوم القيامة لأنه سيكون ثواب كل من صلى أو تعبد أو تعلم القرآن فيه من دون أن ينقص من ثوابه شيْ.

ولا تعرفون ماذا في علم الله، وقد يكون منه أن يكثر المسلمون في هذه المنطقة حتى يمتلئ مسجدها بالمصلين، وقد زرت جزيرة (بورتوريكو) قبل ١٨ سنة ولم يكن فيها آنذاك أي مسجد أو مركز إسلامي، ولم تكن تقام فيها الجمعة، ونحن نشاهد الآن فيها هذا المركز الإسلامي الكبير في سان هوان، الذي فيه مسجد يمتلئ يوم الجمعة بالمصلين إلى جانب ٣ مساجد أخرى ومصليات أخرى.

وقد وجدت منهم استجابة لهذا الأمر، بل تحمساً لإتمامه أعانهم الله على ذلك و أثابهم.

المسلمون في الرصيبو:

وحق الكلمة أن تكتب (رصيبو) بدون (أل) ولكنني سمعتهم هكذا ينطقون بها بالتعريف الرصيبو، وقد قيل لنا من قبل إن الكلمات التي تبدأ بأل في الإسبانية والبرتغالية هي عربية الأصل مثل (الزيت) و(السكر) و(الكوبو) وهي الكاس، جمعه أكواب وهي لفظة وردت في القرآن الكريم، ومثل كلمة الرزّ، الخ.

ذكر الإخوة أن عدد المسلمين في بلدة الرصيبو وضواحيها هو ٧٥ أسرة يقدرعدد أفرادها بـ ٢٨٠ نسمة أغلبهم من الفلسطينيين وفيهم أسر من اللبنانيين، وخمسة من المغاربة، وكل العرب الذين فيها هم من المسلمين.

وأول وصول المسلمين إليها كان في عام ١٩٧٠م جاءوا إليها من جهات أخرى من داخل (بورتوريكو) ثم صاروا يتزايدون فيها.

وأما تاريخ أول وصول المسلمين إلى بورتوريكو فقد تقدم وأنه كان عام ١٩٣٠.

وتـتألف غالبية سكان الرصيبو من أهل (بورتوريكو) ذوي المظهر المتميز وهو المظهر الإسباني المتغير المختلط الذي سبق وصفه، وليس فيهم أحد من السود.

صورة مع الرفقة في بيت الأخ أحمد أسعد في بلدة الرصيبو في بورتوريكو

كـان الأخ أحمـد أسـعد يقـدم شراب الفاكهة البارد وله وقع حسن في هذه الأمسـية الحـارة، وأشـجار النارجيل صفر الثمار ترفرف على مقدمة بيته، مما يؤكـد ما يلح على المرء من جو حار رطب ثقيل، لأن أشجار النارجيل لا تزدهر في الغالب إلا في مثل هذا الجو الاستوائي أو المداري الحار الرطب الثقيل.

وقد شربناه تحت إلحاح الأخ أحمد أسعد وإخوانه من أهل هذه البلدة بأن نتناول العشاء معهم واعتذرنا عن ذلك.

أرض المسجد:

وانتقلنا مع الإخوة الكرام بسياراتهم لرؤية الأرض التي اشتروها ودفعوا ثمنها كاملاً من أجل أن يبنوا عليها أول مسجد في هذه المنطقة من جزيرة (بورتوريكو) فوجدناها أرضاً ممتازة الموقع لكونها تقع على الطريق السريع (الهاي وي) وعلى طريق أسفلتي أخرى، وتمتلك ناصية الطريقين معاً، وتطل على البحر أيضاً من موقعها الذي هو مرتفع قليلاً عن الطريق.

وقد اشتروها بسبعين ألف دولار أمريكي جمعوها من تبرعاتهم وتبرعات إخوانهم في داخل (بورتوريكو) منذ سنة ونصف.

صورة مع الإخوة المسلمين في الأرض التي اشتروها ليقيموا عليها أول مسجد

وقد أروني المخططات والخرائط التي وضعوها للمركز الإسلامي الذي أهم ما فيه المسجد فرأيتهم أظهروا المعلم الإسلامي في البناء في قبة المسجد

ومـــنارته، فشـــكرتهم على ذلك وقلت لهم: إنه ينبغي لكم أن ترفعوا المنارة أعلـــى مما ذكرتم، بل إلى أي ارتفاع تستطيعونه وتوافق عليه بلدية المنطقة لأن وقـــوع المســـجد بقبـــته ومـــنارته العالية في موقعه المرتفع على هذين الطريقيـــن المهمين مما يكون شاهداً ماثلاً لكل من سلك الطريق على الوجود الإسلامي في المنطقة ونرجو أن يكون منارة إشعاع ثقافي إسلامي هنا.

لذلـــك وجهت كلامي إلى الإمام الشيخ حسن أحمد أبونار وقلت له وهم يسمعون: إن كثيراً من الناس كما تعلمون في هذه البلاد وغيرها يريدون أن يعرفوا شيئاً عن الإسلام وهم يطلبون ذلك، بل يطالبون به فحبذا أن يكون من بين ما تهتمون به إنشاء مركز للمعلومات عن الإسلام، ومكتبة تشرح مبادئ الإسلام وتوزع أوراقاً مختصرة أو كتيبات صغيرة عنه باللغة الإسبانية حتى يكـــون وسيلة لإبلاغ الدعوة إلى من يريد من أهل البلاد وعسى أن يهدي الله بذلك من يشاء هدايته إلى الإسلام.

فأجمعوا كلهم على صحة ذلك وأنهم يأملون فيه وطلبوا منا أن نرسل لهم من رابطة العالم الإسلامي إماماً للمركز يكون متفرغاً لهذا الغرض ولإمامة المســـلمين وإرشادهم في المركز، فوعدتهم بذلك وقلت لهم: أرجو أن يوفقكم الله إلى بناء المسجد.

ثـــم عدنـــا إلـــى بيت الأخ أحمد اسعد حيث شربنا الشاي عنده وأعلنت لهم أنني ســـأدفع لهـــم مـــبلغاً مالياً رمزياً الآن إسهاماً من الرابطة في العمل على بدء العمل في بناء المسجد، وسوف يجدونها لدى رئيس الجمعية الإسلامية لأن النقود في الفندق.

وقد حضر عندنا في بيته الأخ عبدالله ناجح وهو أحد الإخوة المغاربة الموجودين في بلدة الرصيبو هذه، ومن المهتمين ببناء المسجد مع أنه شاب مبتدئ بالتجارة.

العودة إلى العاصمة:

في السادسة إلا الثلث ودعنا هؤلاء الإخوة الكرام أهل الرصيبو وقد التزموا لنا أن يسعوا بأسرع ما يمكنهم للعمل في بناء المسجد ووعدتهم بالإسهام بنفقات البناء من رابطة العالم الإسلامي سواء ما كان من ذلك من ميزانية الرابطة، وما كان بالشفاعة لدى المتبرعين والمانحين من أهل الثراء والرغبة في الخير، وهم كثر في بلادنا ولله الحمد.

سلكنا الهاي وي الذي جئنا منه لفترة، و تجدد عجبي من كثرة السيارات فيه مع أنه ليس الطريق السريع الوحيد في الجزيرة، ولكن هكذا طابع الإدارة الامريكية التي تهتم بالطرق والمواصلات اهتماماً عظيماً من واقع سعة البلاد وحاجاتها إلى المواصلات السهلة السريعة.

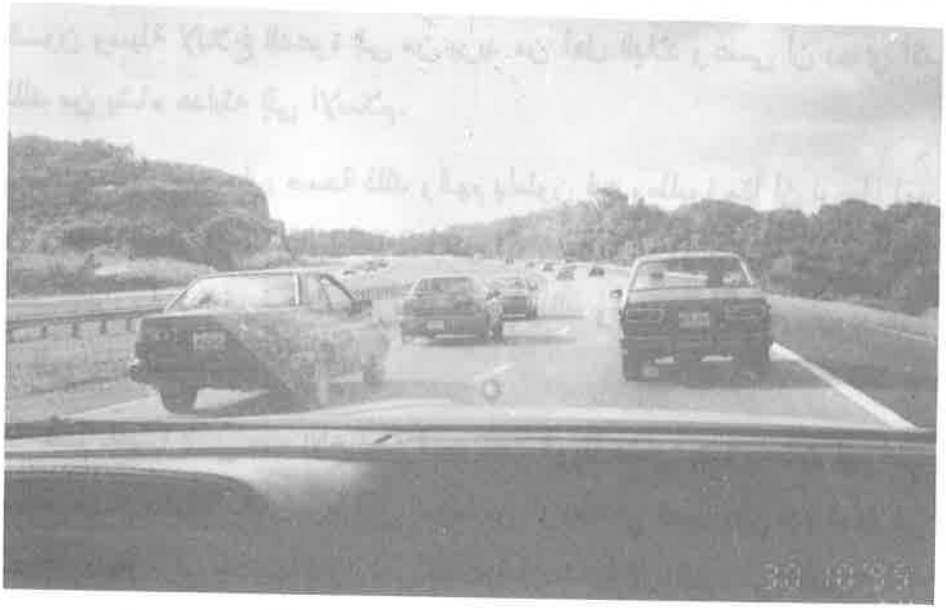

صورة للطريق بين الرصيبو وسان هوان في بورتوريكو

هذا وقد بقيت نصف ساعة على غروب الشمس عندما فارقنا (الرصيبو).

مصلى نيقا ألتا:

عدلنا عن الطريق قليلاً ذاهبين إلى بلدة تسمى (نيقا ألتا) بمعنى المزرعة العالـــية بالإسبانية، وذلك بعد غروب الشمس بثلث ساعة لصلاة المغرب في مسجد فيها مجهز يعرفه الأخ الإمام الشيخ حسن أبونار لأنه أسس بإشرافه.

وقفـــنا عـــند محطة لبيع وقود السيارات يملكها أحد الإخوة الفلسطينيين ويملـــك مبـــنى واسعاً بجانبها وإن لم يكن عالياً، واسمه صابر السلواذي من قرية سلواذ التي تتبع مدينة رام الله.

المؤلف في مصلى نيقا ألتا في بورتوريكو

كـــان المطـــر ينزل رذاذاً، ولم نجد في المحطة إلا العمال فلم يكن الأخ صـــابر السلواذي صاحب المحطة موجوداً، فدخلنا إلى المسجد الذي يسمونه هـــنا مصلى وهو كذلك من الناحية الرسمية، ولكنه مسجد لأنه مكان معد كما يعـــد المسجد ومجهز بكل ما يجهز به المسجد وهو واسع لأنه كان جزءاً من مبـــنى أعد ليكون مستودعاً في الأصل، ويتسع لأكثر من ستين مصلياً، وقد وضـــعوا فـــي أيمنه مصلى خاصاً بالنساء مفصولاً بستارة من القماش، وقد زيـــنوه بلوحات وكتابات عربية منها أنهم كتبوا على محرابه البسملة والآية الكريمة **﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا﴾**، وتحتها سورة الإخلاص كاملة.

وفـــي حـــيطانه الأخـــرى لوحـــات أخرى منها واحدة كتبت عليها آية الكرســـي، ولوحة أخرى رسموا عليها ما ذكروه أنه شجرة الأنبياء المرسلين الذين قص الله علينا قصصهم في القرآن.

ولوحـــة أخرى فيه أسئلة كثيرة وأجوبتها وهي بالعربية وحدها وتقول: لماذا ندعوا الله ولا يستجاب لنا؟

١- لأن قلوبنا ماتت.
٢- ولأننا عرفنا الله فلم نؤد حقه.
٣- ولأننا قرأنا كتاب الله ولم نعمل به.
٤- ولأننا نزعم محبة رسوله وتركنا سنته.
٥- ولأننا ادعينا عداوة الشيطان ورافقناه.
٦- ولأننا نحب الجنة ولا نعمل لها.
٧- وقلنا نخاف النار ومضينا لها.

٨- وقلنا: الموت حق، فلم نستعد له.

٩- واشتغلنا بعيوب إخواننا وأهملنا عيوبنا.

١٠- وذقنا نعمة ربنا ولم نشكر عليها.

١١- ودفنا موتانا ولم نعتبر.

الإخ حسن أبونار على منبر مصلى نيقا ألتا في بورتوريكو

هـذا وقـد صلينا المغرب معاً ثم صليت بعدها العشاء جمعاً لأنني مسافر فـي هذا المسجد الذي لم أسمع به قبل اليوم فالعادة أن المساجد التي تبنى يتقدم أهلهـا إلـى رابطة العالم الإسلامي من أجل المساعدة على بنائها أو يكتبون لنا بذلـك ليكون لدينا خبر عنها، أما المصليات والمساجد المؤقتة فإنهم لا يخبروننا

بها إلا إذا كانت وحيدة في البلد أو المدينة واحتاج أهلها إلى من يساعدهم على دفع الأجرة لها أو تسيير أمورها المتكررة كالكهرباء والماء والتكييف.

ثم استمعت إلى تاريخ اتخاذ هذا المصلى فأخبرني الأخ الإمام أنه اتخذ مسجداً في عام ١٩٩٠م وأن ما يلزم له من نفقة يدفعه جماعة المسجد، ولا يحتاج إلى سؤال الآخرين من خارج المنطقة.

ثم غادرنا بلدة (نيقا ألتا) أو المزرعة العالية، وعجبت من كثرة تفرعات الطرق عندها ومن اللوحات التي كتبت بكثرة للدلالة على تلك الطرق.

وشوارعها واسعة وفيها سيارات كثيرة مارة بها عابرة إلى مناطق أخرى.

صورة للطريق بين الرصيبو وسان هوان في بورتوريكو بعد غروب الشمس

مأدبة الإمام:

ذهـب بي الأخ الشيخ حسن أحمد أبونار إمام المسلمين هنا إلى بيته في ضـاحية اسمها (شاغوابيروا) تعتبر أحد أحياء مدينة (سان هان) البعيدة عن قلبها، وتبين أنه قد أعد مائدة عشاء سخية لأخيه.

وكنـت رأيت عندما وقفنا عند بيته أحد الإخوة العرب جالساً في شرفة بيـت مقـابل فسـلم علينا واسمه (سمير ساري) وهو من الفلسطينيين الذين يسـكنون فـي هـذا الحي، وقد ألح عليَّ في دخول بيته، ولكن الإمام اعتذر وأخبره أننا ننتظر رئيس الجمعية قليلاً، ثم جاء الدكتور شاكر الخطيب رئيس الجمعية الإسلامية الذي يصح أيضاً أن يسمى رئيس المركز الإسلامي، لأن المركز الإسلامي تابع لهذه الجمعية.

فاستكملنا الحديث في شئون المسلمين في البلاد، وكنا جالسين في شرفة المـنزل التي كان الجو فيها مقبولاً، إذ غربت الشمس ولطف الهواء، والحي نفسه فسيح مؤلف أكثره من بيوت ذات طابق واحد، والقليل منها من طابقين، وبيوته مبنية من الأسمنت المبسط وذات سقوف مسنمة، وترفرف عليه أشجار النارجـيل القصـيرة لأن غرسـها كـان حديثاً نسبياً، ومعها أشجار الظل الاستوائية، ولكن ذلك كله من غير كثافة.

وقـد تعشينا عند الإمام عشاء كانت بي إليه حاجة وتعشى معنا الدكتور شاكر الخطيب لأنه كان قد أخبره من قبل، ومع ذلك لم نصنع شيئاً ولم تنقص مأدبـته السـخية، وهي من الدجاج والأرز الشبيه بالبخاري، وغير ذلك من اللحـم والخضرات ولا يستطيع صنع مثل هذه المائدة إلا العربيات، والشيخ الإمام معه زوجته وله منها أطفال حضر إلينا أكبرهم.

ثـم صحبني الدكتور شاكر الخطيب والإمام إلى الفندق حيث وجدت بعض الإخوة ينتظرون من أجل وداعي جزاهم الله خيراً، ويحمل أحدهم رسالة شفهية مـن الأخ بكر الفلسطيني الذي عاش فترة في سانتو دومنيقو عاصمة جمهورية الدومنيكان، وكنا مررنا بالمقصف أو المطعم الذي يملكه فلم نجده وأخبرنا الأخ العربـي أنـه يعرف أن المسلمين في (سانتو دومنقو) يجتمعون في مصلى لهم ولكـنه لا يعـرف عـنوانه، لأنـه بعيد العهد بهم، ولا يعرف عنوان أحد من المسـلمين، ولكنه يعرف شخصاً مسيحياً من سوريا يعرف المسلمين، ويمكن أن يدلنـي علـى مكانهم في سانتو دومنقو ثم ذكر اسم السوق التجاري الذي يعمل فـيه لأن له فيه متجراً كبيراً، وقال ما عليك إلا أن تركب مع سيارة أجرة ليدلك علـى أحد العرب في شارع ... التجاري وهم سوف يدلونك على ذلك الرجل، ثـم أعطيـت الأخ الدكـتور شـكري الخطيب والإمام وأحد الإخوة المسلمين العامليـن بالجمعـية مساعدات مالية رمزية عاجلة للبدء في مسجد (الرصيبو) وكنـت أخـبرت أهلـه بذلـك، أي بأنني سوف أدفع النقود إلى رئيس الجمعية بحضور مندوب منهم، وكذلك مساعدة (نيقا ألتا).

وكنـت ركبـت مع الدكتور شكري الخطيب في سيارته فحدثني خلال الطـريق الطويل من بيت الإمام في حي (شاغوا بيروم) إلى فندق بيير الذي أسـكن فيه عن نفسه، وعن مأساة حدثت له، وذلك لكونه تزوج من أمريكية رزق منها بابن وابنتين، وأنها تنكرت عليه بعد ذلك وباعت أرضاً لهما كان سـجلها باسمها في أمريكا، وأنه لذلك تزوج من امرأة فلسطينية شابة فطلبت زوجته الأولى الطلاق وتنكرت له وأعانتها إحدى البنتين على ذلك، أما الابن فإنه تفهم موقف والده.

قـــال: وقـــد استرحت الآن مع هذه الزوجة العربية المسلمة، وإنني أنصح كـــل عربي مثلي أن يبتعد عن الزواج من الأمريكيات ونحوهن، لأنهن لا يربين أولادهن تربية إسلامية، ولا يطعن الزوج المسلم، وإذا اختلف معهن على شيء ورفعت المرأة أمرها إلى الجهات الرسمية كانت تلك الجهات معها عليه.

وهـــو يأســـف علـــى ذلك مع نجاح أولاده نجاحاً دنيوياً، فابنته الكبرى تخرجـــت مـــن كلية الطب وتمارس الآن مهنة الطب في مستشفى كبير في الولايـــات المتحدة في البلدة التي فيها أمها، و الابن والبنت الصغرى كلاهما متعلم وله دخل جيد، وحتى الزوجة تعمل الآن مع إحدى المؤسسات وتحصل على راتب جيد فيما يقول، ولكنه يأسف على أن أولاده ليسوا معه يشاركونه مـــا يريد أن يشاركوه فيه من إقامة الصلاة وصيام رمضان من غير أن يخل ذلـــك بعملهـــم الرسمي الذي لابد منه لمن يعيش في هذه البلاد، أما هو فإنه يعمل الآن أستاذاً في الجامعة في (سان هوان).

يوم الثلاثاء: ١٤١٦/٦/٧هـ - ١٩٩٥/١٠/٣١م:

مغادرة بورتوريكو:

رن جـرس الهاتف في غرفتي في الرابعة والنصف فجراً وكنت طلبت مـنهم إيقاظـي في ذلك الوقت لأن سفري إلى جمهورية الدومنيكان سيكون مبكراً، وكانت موظفة الشركة السياحية التي قطعت لي التذكرة قد قالت: إنه يجب عليَّ أن أكون في المطار قبل موعد الإقلاع بساعتين على الأقل، لذلك أسرعت في الخروج من الغرفة بعد أن صليت الفجر مع أنه تبين لي فيما بعد أننـي لـو تأخرت ساعة لكان أحسن لأن الأمر لم يستدع إلا قليل وقت حتى وقفت عند بوابة الخروج للطائرة.

ركبـت مع سائق أجرة سمح سألته عن الأجرة فقال: هي مكتوبة أمامك وقد كتب أنهـا ١١ دولاراً وعـن كل حقيبة دولار حتى الحقيبة اليدوية، وبذلك تقاضى مني ١٣ دولاراً على الجميع مثلما كان السائق الذي أحضرني من المطار إلى الفندق.

ولـم أر فيما رأيته من أنحاء العالم من يأخذ أجرة على حقيبة اليد، وإن كنـت رأيـت في المدن المغربية سائقي الأجرة يأخذون أجرة إضافية على الحقيبة الكبيرة وعلى اللفافة الكبيرة، ولكنهم لا يأخذون ذلك لحمل حقيبة اليد أو اللفافة الصغيرة، وما عدا ذلك من أنحاء العالم الذي رأيته وقد رأيت أنحاء العالم كلها وإن لم أركب فيها كلها سيارات أجرة، وما علمت أن أحداً يتقاضى أجرة على حمل الحقيبة اليدوية.

وهذا مماثل في غرائبه لما رأيته في مطار مدينة (منسك) عاصمة جمهورية روسـيا البيضـاء التي كانت تابعة للاتحاد السوفيتي واستقلت بعد ذلك، فقد وزنوا حقائبـنا المعتادة ثم وزنوا حقائب اليد وطلبوا لها أجرة فأنكرنا ذلك عليهم لأنه من

المتعارف عليه في جميع أنحاء العالم أن للمسافر الحق في حمل حقيبة يد واحدة بدون أجرة، وبعض الشركات، بل أكثر الشركات تتسامح في أن يحمل المسافر أكثر من حقيبة واحدة وما شاء من اللفافات حتى الثقيلة منها لاسيما تلك الشركات التي تطير الطائرات النفاثة القوية التي لا تبالي بزيادة الوزن عليها، مثل الطائرة التي سافرنا عليها آنذاك من مدينة منسك إلى موسكو.

واليوم وصلنا المطار بسرعة ووقف السائق قريباً من الباب الذي يدخل منه إلى مكتب الشركة الكوبية فوجدت المكتب عليه موظفون ما أسرع أن أنهوا إجراءات السفر لأن جوازي فيه سمة دخول إلى الدومنيكان، ولكن المشكلة كانت أننا وجدنا قاعة المغادرة مغلقة مما لم أكن أتوقعه لما عرفته من سعة هذا المطار وكثرة حركة الطائرات فيه، وقد أمضينا الوقت على كراس محدودة غير مريحة فترة من الوقت كان بعض المسافرين جالسين فيها على الأرض لأنهم لم يجدوا كرسياً خالياً، ثم فتحت القاعة في الخامسة والنصف، وكنت توهمت أنها قاعة صغيرة خاصة بالسفر إلى الأقطار المجاورة، ولكنني رأيتها رئيسية كبيرة فيها حوانيت البيع وكلها ليس فيها رحلات قبل هذا الوقت، بل ليس فيها أحد عندما دخلناها.

وكنا نحن ركاب الطائرة الكوبية أول الداخلين للقاعة، وهم كثر من الركاب ما بين رجال ونساء من أعمار مختلفة، فرأيت فيهم من كدرة الألوان، وعدم الجمال في الأشكال ما لم يعجبني منه إلا غرابته في عيني أنا الذي زرت الأقطار وجبت أركان الأرض.

فألوانهم سمر مع كدرة، وفيهم سود سوادهم غير حالك، بل أني أن السواد الحالك هو أجمل من السواد الرمادي، وقد رأيت في السود

والسـوداوات فـي إفريقـية من هم في نظري ممن يعدون من أهل الجمال بخلاف السود الذين في استراليا وهم السكان الأصلاء المسمون (أبورجنالز) وجـيرانهم وربمـا يكونون من إخوانهم سكان جزر المحيط الهادئ الجنوبي ممـن يسـمون المالونـيز مـثل سكان جزر سليمان (سلمون آيلند) وجزر نيوهبريدز التي أصبح اسمه بعد استقلالها (واناواتو) فهؤلاء من السود الذين لا يرى العربي فيهم شيئاً من الجمال بخلاف السود الإفريقيين.

وقـد ذكـرت السكان الأستراليين الأصلاء في كتابيَّ عن أستراليا وهما (إطلالة على استراليا) و(مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية).

وقد رأيت من عادتهم في الحديث أيضاً أن اثنين أو ثلاثة يتحدثون، فإذا بالجمـيع يدخلون معهم في الحديث ويرفعون أصواتهم غير مبالين بالركاب الآخرين الذين لا يرتاحون لذلك.

وقـد لقيت عنتاً من برد القاعة لأنها مكيفة تكييفاً قوياً مبعثه كونها معرضة لأن تتزاحم بالركاب والإزدحام يحتاج إلى تبريد أكثر كما هو معروف.

ولـم أر فـي ركاب الطائرة الذين يغلب عليهم السواد أو السمرة الشديدة إلا زوجـاً مـن البيض مؤلفاً من شاب وفتاته والظاهر أنهما زوجان، ومع ذلك ترك الجو المداري الرطب بصماته على وجهيهما كدرة في اللون، وقلة في الإشراق

ومن المزعج أن إحدى الراكبات ووجهها أسود بهيم تكلمت إليهم رافعة صـوتها بما يشبه النكتة فضحكوا كلهم وصفقوا لها وأنا بينهم كالأطرش في الزفة كما يقال.

الفصل الثاني

جمهورية الدومنيكان

جمهورية الدومنيكان:

يـــبلغ عدد سكانها ٧ ملايين نسمة، ومساحتها ٤٩٥٤٤ كيلومتر مربع، وهـــي من أقدم المجتمعات المنتظمة في الأمريكيتين: الشمالية والجنوبية مع أنها واقعة في البحر الكاريبي الذي يقع بينهما.

تقـــع جمهورية الدومنيكان في الجزيرة الثانية من جزر البحر الكاريبي بعـــد جزيـــرة كوبا من حيث الاتساع، وهي جزيرة هسبنيولا التي توجد فيها جمهوريـــة هايتي، ولكن نصيب جمهورية الدومنيكان من الجزيرة أكبر من نصيب (هايتي)، إذ تحتل ثلثي الجزيرة ويبقى ثلثها وهي غربيها لهايتي.

وقد اكتشف جزيرة هسبنيولا كرستوفر كولومبس ويسمى عندهم كولون في عام ١٤٩٣م.

وقـــد اســـتعمرت أسبانيا جزيرة هسبنيولا منذ ذلك التاريخ إلا أن فرنسا نازعـــتها السيادة عليها بعد ذلك فنزلت إسبانيا عنها لفرنسا في عام ١٧٩٥م وأصبحت متحدة مع هايتي، إلا أن الدومنيكانيين الناطقين بالإسبانية عارضوا هـــذا الاتحـــاد وحصلت تطورات عدة فانتقلت من حكم فرنسا إلى السيطرة الإسبانية ثم إلى الاستقلال تحت اسم (الجمهورية الدومنيكية) عام ١٨٤٤م.

وحـــتى هذا الاستقلال اعتورته أمور حيث رأى رئيس جمهوريتها عام ١٨٦١م إعـــادة اتحادها مع إسبانيا، وبعد ذلك فاوض رئيس آخر في ضمها إلى الولايات المتحدة الأمريكية إلا أن المشروعين فشلا.

غير أن هذه الجمهورية واجهت مشكلات من نوع آخر فقد أعلن إفلاسها في عام ١٩٠٥م ثم احتلها الجنود الأمريكيون عام ١٩١٦م حتى عام ١٩٢٤م.

المسلمون في الدومنيكان:

يقدر عدد المسلمين في جمهورية الدومنيكان ما بين ٤٠٠ و٤٥٠ فرداً، معظمهم من الطلاب الذين يدرسون في جامعاتها وهي جامعات معترف بشهاداتها، ويختارها هؤلاء الطلبة لانخفاض رسوم الدراسة فيها بالنسبة إلى الولايات المتحدة وأوروبا، كذلك للرخص النسبي للمعيشة فيها.

ويمكن القول بأن المسلمين فيها كلهم من الغرباء ما عدا استثناءآت نادرة لمسلمين من المواطنين الأصلاء في الجزيرة.

وفي عيد الأضحى الذي مضى قبل وصولنا أحصى المسلمون من صلوا معهم صلاة العيد فوجدوهم ٣٧٠ فرداً، وقد أدوا الصلاة في مباني إحدى الجامعات.

وتتألف أكثرية المسلمين من طلاب باكستانيين وهنود مسلمين ويقدر عددهم مجتمعين بـ ٢٥٠ كما يوجد ما بين ٥٠ إلى ٦٠ من الطلاب المسلمين الذين قدموا من جمهورية جنوب إفريقية.

كما يوجد ٢٠ طالباً مسلماً من العرب أغلبهم من سوريا وفلسطين، أما الأمريكيون أي الذين يحملون الجنسية الأمريكية ويقيمون في الدومنيكان فإنه يوجد منهم خمسة من المسلمين السود وواحد من البيض.

وسبب قلة عدد المسلمين من أهل البلاد هو عدم وجود دعوة منظمة، بل عدم وجود مسجد أو مركز إسلامي يكون منطلقاً للدعوة، إذ أول مسجد فتح فيها وأديت فيه الصلوات بصفة منتظمة كل الأوقات هو مصلى من غرفة واحدة أسموه (المركز الإسلامي) وقد فتح في ٢٦ نوفمبر عام ١٩٩٤م.

المؤلف مع الإخوة المسلمين في مسجد المركز الإسلامي في سانتو دومنقو

ومـــع ذلـــك هو مستأجر من الجائز أن يعجز القائمون عن دفع أجرته فـــيخرجهم أهلـــه وإلا فإن هناك إمكاناً لقبول الدعوة الإسلامية، بل لانتشار الإسلام إذ أخبرنا الإخوة المسلمون أنه أسلم في العام الماضي أربعة رجـــال و٣ نســـاء مـــن أهل البلاد كما أسلم اثنان من السود أهل الكاريبي من الذين يعيشون في الدومنيكان.

ولا تكـــاد توجد أسر مسلمة معروفة مقيمة في البلاد ما عدا أسرتين من باكستان وما قيل عن أسرتين من العرب.

الحاجة إلى المسجد:

كـــنا تلقيـــنا في رابطة العالم الإسلامي طلباً من المسلمين في جمهورية الدومنيكان قبل أن أسافر هذه السفرة بوقت قصير أرسل إلى الرابطة بوساطة الســـفارة السعودية في فنزويلا يقول فيه مرسلوه: إن المسلمين بحاجة ماسة إلـــى وجـــود مســـجد في العاصمة (سانتو دومنقو) وأنهم يريدون أن يشتروا أرضاً يقيمون عليها مسجداً، وقد أخذت معي تلك الأوراق، وبحثت هذا الأمر عـــندما وصلت فوجدت أنه لا توجد جمعية إسلامية من أهل البلاد يمكن أن تشتري الأرض، وتقوم على بناء المسجد، كما أنه لا توجد عندهم أرض ولا إمكانـــية لشراء الأرض، وإنما كانت كتابتهم رجاءً بأن تقوم المملكة العربية السعودية ببناء مسجد لهم.

وقـــالوا لـــنا هنا أثناء البحث في هذا الأمر: إننا رأينا أن الأفضل لنا أن نشتري منزلاً أو مبنى نحوله إلى مسجد.

وهـــذا أمر جيد غير أن الأمر يستدعي أن تكون هناك جمعية رسمية أو جهة مخولة تتولى الإشراف على ذلك كله، وتتسلم المسجد بعد بنائه أو المبنى بعد شرائه وتحويله إلى مسجد وتديره حسب المطلوب، وهذا غير متوفر الآن في الدومنيكان.

ولذلـــك شـــجعناهم على أن يؤلفوا جمعية إسلامية يدخلون فيها من هم حاصـــلون على جنسية البلاد لكونهم من أهلها أو لكونهم اكتسبوها بأنفسهم، إضافة إلى المقيمين إقامة مؤقتة كالطلاب، وأن تقوم هذه الجمعية بالإجراءات القانونـــية المطلوبـــة في البلاد لأن الطلاب إقامتهم مؤقتة، ولا يضمنون أنه سيأتي بعدهم من يحسن العمل مثلهم في هذا الصدد.

المصليات في العاصمة:

توجد في العاصمة خمسة أماكن للصلاة كلها في الجامعات أو في مساكن الطلاب فيها وهي:

- مسجد المركز الإسلامي وتقام فيه الصلوات الخمس و صلاة الجمعة يحضرها ٤٠ مصلياً.
- مسجد النور، وتقام فيه الجمعة إلى جانب الصلوات المفروضة اليومية ويحضر صلاة الجمعة فيه (٥٠) مصلياً في المتوسط.
- مصلى جامعة (أوني راموس).
- مصلى جامعة (اوتيسا).
- مصلى جامعة (أوفك).

ويجتمع المسلمون فيختارون رئيساً لهم يسمونه الأمير كل عام، والرئيس الحالي اسمه: خورشيد عبدالرؤف خان، ونائب الأمير: ريحان صديقي، والمحاسب: ذبيح الله حبني من جنوب إفريقيا والسكرتير: شاهد الفاروقي، والمراقب العام: نضال أحمد من فلسطين.

هذا وقد اعتمدت رابطة العالم الإسلامي عند عودتي مبلغاً مجزياً من المال يرسل بوساطة السفارة السعودية في كاركاس- فنزويلا- مساعدة للمسلمين على شراء مبنى يحولونه إلى مسجد، أو شراء أرض يقيمون عليها مسجداً بعد استكمال الشروط المطلوبة لإنجاح المشروع، ونسأل الله تعالى أن ييسر لهم ذلك.

من سان هوان إلى سانتو دومنقو:

وسان مثل سانتو معناها: قديس ولكنها تكون (سان) أو (سانتو) حسب موقع الكلمة من الجملة، وهذا في اللغتين الشقيقتين وهما الإسبانية والبرتغالية بخلاف (سانتا) فإن معناها قديسة مؤنث قديس، ولذلك تراهم يقولون في اللغتين للصليب المقدس عندهم (سانتا كروز) لأنهم يؤنثون الصليب فيكون معناها: الصليب المقدسة، وليس (الصليب المقدس) وإن كانت ترجمتها ترجمة فقهية بالصليب المقدس صحيحة على اعتبار أن الصليب مذكر في العربية.

فسان هوان: اسم معناه القديس هوان كما ينطق به في الإنكليزية وهو في الإسبانية (خوان) بالخاء وخوان: هي جون بالإنكليزية التي كانت تطورت من أصل كلمة (يحيى) كما يلفظ بها في العربية.

و(سانتو دومنقو) هي القديس دومنقو وهو قديس عند المسيحيين الكاثوليك وهو إسباني مات في النصف الأول من القرن الثالث عشر.

عندما تجاوزت الساعة السادسة نادوا علينا بالوقوف عند البوابة وصاروا يدخلون حملة أرقام معينة مما أعطاني انطباعاً بأنها طائرة كبيرة، وإذا بها من طراز بوينغ ٧٢٧ الصغير نسبياً وإن كانت بدت لي كبيرة فخمة بالنسبة إلى الطائرات الصغيرة التي كنت أركبها في جولتي هذه في جزر البحر الكاريبي فهي كلها من الطائرات ذوات المحركين ولكن بعضها أصغر من بعض إذ ليس في بعضها إلا ١٨ مقعداً وهذه هي الصغيرة أما أكبرها فإن فيها ٢٨ مقعداً فقط.

أول ما لاحظته على العاملين في هذه الطائرة أنهم اختاروهم كلهم من البيض الذين يشبهون في ألوانهم السوريين أو اللبنانيين ولكنهم لا يبتسمون للركاب ولا يجاملونهم مثلهم في ذلك مثل المضيفين في طائرات الدول الشيوعية في روسيا وما كان ملحقاً بها وفي الصين الشعبية، فالمضيفون فيها لا يجاملون الركاب لا في قول ولا فعل، وذلك جرياً على عادة الناس تحت

الحكـــم الشـــيوعي، إذ يؤدون أعمالهم وكأنهم الدمى المتحركة، ولا يرون أن الآخرين يستحقون المجاملة في المعاملة، لأنهم لم يسدوا إليهم يداً، ولن ينالهم مـــنهم شيء إلى جانب شعورهم بأن رواتبهم مضمونة، وأنهم لن يفصلوا من العمل كلية سواء أساءوا أم أحسنوا.

وأعلـــن مكـــبر الطائـــرة بالإســـبانية السريعة كما يفعل أهل أمريكا الوســـطى، ثـــم بالإنكليزية، حيث أعلن أن مدة الطيران إلى (سانتو دومنقو) ستستغرق ٤٠ دقيقة، وأن الطائرة ستذهب بعد (سانتو دومنقو) إلى بنما.

ولاحظت أن إجراءات الأمن هنا معتادة وليس فيها تدقيق، خلاف ما كنت أظنه بسبب كثرة أعداء رئيس حكومة كوبا (فيدل كاسترو) وحكمه الشيوعي.

والطائرة جيدة التنجيد، نظيفة في كل شيء خلاف ما عليه الحال في الطائرات الشيوعية ولم أركب مع الطائرات الكوبية من قبل حتى أقارن بينها وبين هذه الحديثة، ولكنني كنت أرى طائراتهم في المطارات أغلبها من صنع روسي في تلك الأوقات.

أقلعـــت الطائـــرة فـــي السادسة والنصف وهو الموعد المحدد لقيامها في الأصل دون تأخير، وذلك بعد بزوغ الشمس على مطار (سان هوان) وقد صارت فور إقلاعها تطير فوق جزر صغيرة خضر بجانب ساحل (بورتوريكو).

وبعـــد لحظـــات من قيامها أسرعت المضيفات اللاتي لا يختلفن عن مضـــيفات الطائـــرات فـــي أمـــريكا الجنوبية فشددن الفوط على أوساطهن، استعداداً لتقديم الضيافة.

ثم ارتفعت الطائرة عالياً فوق مياه البحر الكاريبي، وجاءت المضيفات بالضـــيافة وهي شراب خفيف، معه كيس فيه نقل قليل وهو المعروف عندنا بالمكسرات لا غير مع أن الوقت وقت إفطار.

في جزيرة هسبنيولا:

جزيرة هسبنيولا: هي الجزيرة الكبيرة التي تتقاسم أرضها دولتان هما جمهورية الدومنيكان، ولها أكثر من نصفها قليلاً وجمهورية هايتي ولها أقل من نصفها قليلاً، وهي الجزيرة الكبرى بين جزر البحر الكاريبي باستثناء جزيرة كوبا فهي أكبر منها.

وقد بدت جزيرة (هسبنيولا) هذه بعد أن مضت ٢٧ دقيقة من الطيران منذ أن قمنا من مطار بورتوريكو، والطائرة لا تزال مرتفعة، ومع ذلك كان لا يزال فوقها سحاب، وتحتها قطع من السحاب الذي كان يجود منطقة واقعة جهة الغرب من ممر الطائرة ولذلك ارتسم عليه قوس قزح الذي تسميه العامة عندنا (سيف الرعد)، وقد عجبت من كوني انظر الآن إلى قوس قزح وأنا فوقه بعد أن كنت منذ صغري أنظر إليه وأنا على الأرض أسفل منه.

وقد هبطت الطائرة عن مستوى السحاب فصارت تطير فوق قطع من الأراضي المعمورة بالزراعة، وأكثرها حقول وبينها طرق ترابية أي غير مزفتة بدت منها التربة أحياناً حمراء باهتة وأحياناً صفراء.

ثم صارت الطائرة تتدنى إلى الأرض، وهي تتدلى من عند السحاب، فاتضحت الأرض ذات سهول منخفضة تغطيها الحقول وربى متطامنة فيها أشجار الغابات وبينها نهر يبدو أبيض الصفحة ربما كان ذلك من انعكاس لون السحاب الأبيض عليها، وعلى ضفاف النهر غابات وأشجار كثيفة.

ورأيت على النهر جسراً طويلاً، ولكن لم يدل الطيار أو غيره في الطائرة بأية معلومات عن هذه الأرض، ولا لمن تتبع من الدولتين في الجزيرة.

ثـم قلت الغابات وكثرت الحقول والطائرة تمعن في طيرانها الوئيد، ومررنا من فوق بلدة على هذا النهر ما لبثت الطائرة أن تجاوزتها.

ثـم وصلت الطائرة إلى جو أرض بيضاء تكاد تكون خالية من أشجار الغابات وتبيـن أننا نقترب من المطار، إذ دارت الطائرة فوق البحر الذي كان شاطئ الجزيرة علـيه صخرياً واقفاً غير جميل المنظر، واستمرت تتدنى من الأرض وهي تطير فوق البحر الذي بدا عميق المياه مع أنه ليس بعيداً من الساحل.

مطار سانتو دومنقو:

هبطت الطائرة في مطار سانتو دومنقو في السابعة والربع بعد طيران استغرق ساعة إلا ربعاً وليس ٤٠ دقيقة كما كانوا ذكروه.

فـي مـدرج عليه أعشاب كثيرة خضر تتخللها صفرة خفيفة وخلفها أشـجار من أشجار الغابات، ولاحظت أن طائرات كانت واقفة فوق العشب قرب ساحة وقوف الطائرات وربما كان ذلك لضيق الساحة أو لكونها معطلة.

وقـد رأيـت ساحات الوقوف المزفتة غير واسعة، وليس هذا هو وجه النقص الموجود فيه، وإنما رأيت بقعة من الزيت الأخضر فوق جانب منها قرب المباني.

أمـا داخـل مباني المطار فإنها جيدة، وعند مكاتب الجوازات وهي ثلاثـة كان هناك موظفان أحدهما أسود والآخر أبيض بالنسبة إليهم وهو في لـون العـرب الشـماليين أو يقـرب من ذلك، ولاحظت أن الأسود يجري الإجـراءات الأولـى المعتادة على الجوازات فيراجعه ثم ينقل بعض ما فيه، ويسلمه للضابط الأبيض الذي يراجعه.

ولاحظـت بالنسـبة لجـوازي الذي لا غبار عليه إلاّ غرابته أن الضابط الأسـود قـال بصوت عالٍ وهو يوجه كلامه إلى الضابط الأبيض (عربي) هكذا

يقولـــون ولـــيس (أرابيا) مثلاً ثم نظر إلى الجواز والتفت إليَّ قائلاً (دوبلوماتيكو) ولم أقل شيئاً لأن الجواز بين يديه، ثم ختموا عليه من دون تأخير.

وفي المطار ثلاثة أشرطة متحركة لنقل الأمتعة، وقد وجدت في هذه المنطقة التي هي منطقة لا يدخلها إلاَّ الأشخاص المصرح لهم بالدخول عدداً مـــن الحمالين والمتطفلين الذين ألحوا عليَّ بأن يحملوا حقيبتي مع أنها واحدة يمكـــن ســـحبها علـــى الأرض، وعلـــى صدور بعضهم علامات الموظفين، وبعضـــهم يســـألني عما إذا كنت أريد (تاكسياً) أو فندقاً، وقد جهدت في أن أتخلـــص منهم لأنني أكره أمثال هؤلاء المتطفلين حتى وإن كنت احتاج إليهم لذلك لا استجيب إليهم إلاَّ مضطراً.

مـــررت بضابط (الجمرك) فرأى ظاهر جوازي (دبلوماسياً) وتركني أمر من دون تفتيش مع أنني لاحظت أنهم يشددون في التفتيش على الناس.

وكنـــت ســـألت عـــن الأجرة بالسيارة من المطار إلى داخل المدينة فأخبرنـــي إخواني في بورتوريكو أنها ٢٠٠ بيزو، وأن الدولار يصرف بـــ ٣٠٥ من (بيزاتهم) وتبين أن عهدهم بذلك بعيد.

عـــندما خرجـــت مـــن مبـــنى الجمـــرك سارع إليَّ جمهور من السائقين والمتطفليـــن كـــل واحـــد منهم يريد أن يفوز بي دون غيره، وقد أحاطوا بي إلى درجة أنني لم أكد أستطيع المرور من بينهم، وقد أمسكت في يدي اليسرى حقيبتي اليدوية وفي يدي اليمنى عروة الحقيبة الكبيرة أسحبها على عجلاتها سحباً.

فوقفـــت دون أن أجيب على أي عرض منهم، وكانوا يرددون كلمات من الإنكليزية والإسبانية يظهر أن معناها واحد، وكلها تتعلق بالعرض الذي يقتضي أن يحملوني ويدلوني على فندق جيد بمبلغ لا أعرفه لأنني لا أعرف صرف عملتهم بالدولار، فلما أكثروا عليَّ انتهرتهم.

ومضـــيت أســـير مع الرصيف فلحق بي شخص قصير على صدره بطاقـــة تـــدل على أنه من المصرح لهم بخدمة السياح، وقال: أنا أستطيع أن أخدمك فأحضر لك (تاكسيا) ولا أزيدك على السعر الرسمي وهو كذا، وكان الآخرون قد وقفوا عندما يئسوا مني.

فقلـــت لـــه: إنني لا أعرف المبلغ، ولذلك لا أستطيع أن أوافق عليه، ولكـــن لا مـــانع عندي في أن أذهب معك على شرط أن أدفع لك ما يخبرني الفندق أنه هو الأجرة المعتادة من المطار إلى المدينة.

فقال: هذا جيد وأنا موافق، ثم حمل حقيبتي وأركبني في سيارة أجرة سائقها غيره وتبين أنه وسيط.

كنت أعجب من ألوان الذين رأيتهم في المطار، وبخاصة بعد الخروج من المبـــنى إذ أكـــثرهم مـــن ذوي اللـــون الأسود مع أنني كنت اعتقدت من قبل، أن جمهوريـــة الدومنـــيكان وهي من أقدم المستعمرات الإسبانية في المنطقة أهلها من المستيســـز وهـــم المخـــتلطون ما بين الإسبان القدماء وسكان البلد الأصلاء الذين صاروا يعرفون بالهنود الأمريكيين- ولكن تبين أن هؤلاء موجودون لكن أكثرهم خـــرج من دائرة السمرة إلى دائرة السواد الخفيف، إلى جانب السود الذين سوادهم حـــالك ومنهم سائق سيارة الأجرة الذي ركبت معه، وهو رجل ودود ما أن ركبت معـــه وتحدثـــت إليه حتى زايلني خوف كان قد أصابني وأنا أصل وحدي إلى هذه البلاد لأول مرة، دون أن يكون هناك أحد أثق به في استقبالي.

وتبين لي بعد ذلك أنهم مثل أكثر السود في البحر الكاريبي على درجة عالية من حسن المعاملة واللطف في العلاقة مع الآخرين، وعدم إرادة الأذى لهم إلا أن مظاهر الفقر والحاجة هي السائدة على السكان.

سـار الطريق محاذياً لساحل البحر مثل المطار الذي يقع قرب البحر وقد زينوه بغرس صفين من أشجار النارجيل يمينه وشماله، إلا أن أشجار النارجيل هذه نحيلة جداً ولا أدري السبب مع أن النارجيل تفضل الجو الرطب في العادة على الجود الأقل رطوبة، والأرض خضراء من أعشاب أنبتتها الأمطار.

والطريق ذو اتجاهين يفصل بينهما حاجز أسمنتي يرتفع نصف متر تقريباً، وذلك بديل عن أن تكون في وسطه جزيرة مزينة بالنبات أو الأشجار.

والشعب الذي رأيته حتى الآن هو شعب يصح أن يوصف بأنه شعب أسود، إلا أن لون الرماد شائع فيه، مع وجود السواد الحالك أيضاً.

قصدت فندقاً كبيراً اسمه (فندق سانتو دومنقو) كنت أخذت اسمه من موظفة شركة السياحة في (سان هوان) فوجدته ضخماً واسعاً ذا باحات وحدائق لا يكاد البصر يدرك نهايتها، فسألت موظف الفندق أول ما وصلت عن أجرة السيارة من المطار إلى الفندق فأخبرني بما قاله لي الشخص الذي أركبني من دون أن يزيد على ذلك، فأعطيته السائق بعد أن صرفت من الفندق مائة دولار أمريكية وظني أن الأجرة كانت اثني عشر دولاراً أمريكية.

ثم سألني موظف الفندق عما إذا كنت حجزت من قبل فنفيت ذلك، فقال: إنه لا توجد لديهم غرف خالية في هذا الفندق الذي تبلغ أجرة الغرفة الواحدة فيه ١٤٧ دولاراً أمريكية، ولكن لهم فندقاً آخر مقابلاً له لا يفصل بينهما إلا شارع أجرته ٨٠ دولاراً وفيه غرف خالية واسمه فندق (هسبنيولا) وهذان الفندقان كما ترى أحدهما مسمى على اسم جزيرتهم الكبيرة والثاني سمي على اسم عاصمتهم.

ثم أرسل معي أحد العمال فحمل أمتعتي في عربة يد، وأدخلني إلى فندق (هسبنيولا) وقد أخبرني الموظف فيه أن أجرة الغرفة ٨٥ دولاراً، وأنه

لابـد مـن دفع ٤٠ دولاراً تأميناً للأكل والهاتف، فقلت له: إنني إذا ما أكلت عندكم أو هتفت فإنني سأدفع الأجر بعد ذلك لا قبله ولكنني أرضى أن تقيدوا مـا زاد علـى الأجرة من مبلغ المائة دولار وأعطيته إياها، ولم أثق بهم أن أسـلمهم بطاقة الائتمان التي أحملها وهي من إصدار فيزا تبيح لحاملها ليس مجرد دفع ما يترتب عليه من مبالغ مالية، وإنما يستطيع أن يسحب بها نقوداً من أماكن عديدة في أنحاء العالم ومنها هذه المنطقة بطبيعة الحال لأنها منطقة نفوذ اقتصادي ومالي أمريكي.

وهـنا قـال: إنـنا غير مخولين بصرف الشيكات السياحية فعليك أن تذهب إلى موظف البنك هناك تصرفها عنده ثم تعود.

وذهبـت بـالفعل إلـى مكتب في ركن من داخل الفندق عليه فتى صرف لي ناقصاً عرفت ذلك بعد أن اتصلت بالإخوة المسلمين وأخبروني عن صرف الدولار.

ومن النقائص عندهم أنني طلبت أن يعطوني مفتاح صندوق للأمانات موضـوع في الغرفة فطلبوا أن أودع لقاء ذلك أربعين دولاراً أمريكية تأميناً لما قد يحدث من ضياع المفتاح فامتنعت عن ذلك وقلت لهم: إن أكثر الفنادق تطلـب تعهـداً مـن النزيل بأن يدفع القيمة التي تراها في حالة ما إذا ضيَّع المفتاح، أما دفع التأمين فلا يكون، ولذلك امتنعت عنه وتركت مفتاحهم لهم، وأخذت أهم ما احتاج إليه معي.

وهـذه من مظاهر تخلفهم أو عدم ثقتهم بالنزيل عندهم، أو لكونهم لا يثقون بأنفسهم وببني قومهم، لذلك لا يثقون بالآخرين.

وذكـرت بهذه المناسبة بلاد البرازيل عمرها الله تعالى وقد ترددت قي مدنها، وزرت ولاياتهـا من الشمال إلى الجنوب، فكان أرباب الفنادق كلهم لا يطلبون مني أن

أدفـــع أجـــرة الغـــرفة مقدماً كما فعل هؤلاء، وكذلك بالنسبة لكل ما يترتب عليَّ حتى المكالمات الهاتفية، وأنا أدفع ذلك في نهاية الأمر عندما أريد الخروج.

وفـــيما يـــتعلق بالصرف أ ذكر أنني أردت أن أصرف دولارات من فـــندق اسمه (تروبكل هوتيل) أي فندق المناطق الحارة في مدينة (جُوًّا بُسوًّا) عاصمة ولاية باراييبا في الشمال الشرقي من البرازيل، فقال لي مدير الفندق: إن الصرف عندنا ناقص لأنه يخضع لتسعيرة الحكومة التي تسعر الدولار في أول الشهر ونحن الآن في آخره وخير لك أن تصرفه في السوق!!!

وهكـــذا صرفته في السوق بأكثر كثيراً من صرفه في الفندق، وقد ذكرت هذه الواقعة في كتاب: (الشمال الشرقي من البرازيل) من سلسلة كتب الرحلات البرازيلية.

ثـــم أنزلوني في غرفة في الطابق الثاني مظلمة لأنها وإن كانت فيها نـــافذة كبيرة على شرفة واسعة فإن أغصان شجرة كبيرة في حديقة الفندق قد غشيتها حتى سدت عنها مجرى النور.

ولم أجد في الغرفة نقطة كهرباء واحدة حتى أصنع عليها الشاي الذي أحضـــرته معي من المملكة واعتدت على صنعه في غرفتي في الفندق الذي أنـــزل فيه، وذلك لكونه جيداً ورخيصاً، وأجعله خفيفاً كثيراً حتى لا اضطر إلى شرب الماء الذي لا أطمئن إلى نظافته، حتى الحمام كله ليست فيه نقطة كهربائية واحدة ولا لآلة الحلاقة الكهربائية.

فنزلت إليهم وطلبت أن يغيروا الغرفة لي بغرفة أعلى منها تكون أكثر نـــوراً، فذكروا أنه لا توجد لديهم غرفة خالية، ولا أدري صحة قولهم، ولكن الفندق كبير، ورأيت نزلاء يرحلون، وآخرون يحلون فيه.

المشكلة المتجددة:

بعد راحة قصيرة في غرفة الفندق المعتمة خرجت ابتغي البحث عن المسلمين، وكان في فناء الفندق الواسع جداً سيارات عديدة من سيارات الأجرة، فطلبت من سائق أحدها أن يوصلني إلى (أفنيدا ادواردو) أي شارع ادواردو الكبير، هكذا كنت أخذت اسمه في بورتوريكو مشافهة من أحد الإخوة نقلاً عن الأخ الفلسطيني الذي كان قد عاش في الدومنيكان ويعرف الناس فيها ولم يعطني أحد منهم اسم هذا الشارع مكتوباً.

قال السائق: أين يقع (افنيدا ادواردو)؟ قلت: لا أعرف، ولكنه شارع تجاري مهم قيل لي: إن فيه عدداً من حوانيت التجار العرب، فكرر سؤالي عن مكان الشارع وقال: أرني العنوان فأخبرته أنني لا أعرفه فقال: إذاً لا أستطيع الذهاب بك، فتركني وحاولت أن أثنيه عن امتناعه فأبى.

ووقفت حائراً وكلمت سائقاً ثانياً وثالثاً، وكلهم امتنع، فتقدم مني شخص سمح الوجه، وكلهم في سواد الإفريقيين خلف الصحراء، وقال بلطف: أين شارع اداوردو؟ فقلت له: إنني أريد شارعاً ذكر لي أنه هنا وفيه متاجر للعرب كثيرة فأرجو أن توصلني إلى أحد التجار العرب وأي مكان من المدينة، فهل تعرف متجراً لأحدهم؟ فقال: نعم، وأركبني على سيارته وهي من طراز (مرسيدس) قديم.

وصار يحدثني بالإنكليزية والجميع من السائقين يعرفها لكثرة تعاملهم مع الأمريكيين.

أبطأ وهو يسير بسيارته وقد اطمأننت إليه حتى وصل إلى شارع تجاري مزدحم فيه حوانيت كبيرة وأوقف سيارته فيه، ثم أخذ بيدي، يتفحص

الحوانيت، ويسأل عن محل تاجر عربي حتى وجد متجراً كبيراً واسعاً مما يسمى (السوبر ماركت) فيه عدة موظفين فصار يسألهم عن صاحب العمل حتى دخل صاحب المحل فكلمه وهو يبدو كأنه من سوريا أو لبنان فكلمته بالعربية، فلم يفهم منها شيئاً وتبين أنه إسباني، وسألته عن محل أحد العرب فأشار إلى متجر ضخم مقابل لمحله من الشارع ذهبنا إليه.

وأخيراً وجدنا العربي:

وهذا المتجر واسع أيضاً أي (سوبر ماركت) يعمل فيه أعداد من الموظفين ما بين رجال ونساء من المواطنين ووجدت صاحبه العربي لا يكاد يجد فراغاً لكلمة واحدة من كثرة ما يراجعه العمال والموظفون الذين يرجعون إليه فيما يتعلق بالسلع والبضائع وعددهم يناهز الخمسين فيما قدرته، وأما عدد الذين في المتجر من المتسوقين فإنه كبير جداً، وعلى الخزانة امرأة عربية، وهي الوحيدة من العرب فيه بعد صاحبه الذي سلمت عليه فرحب بي وكلمني بعربية لم تشبها شائبة، وقال: أنا عربي من بيت لحم في فلسطين، ولذلك جعلت اسم محلي هذا (بيلين سوبر ماركت) أي أسواق بيت لحم واسمه (جورج جارود).

فأخبرته أنني أبحث عن أحد المسلمين هنا ليدلني على مركز أو مصلى للمسلمين في هذه البلاد فأنا من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وقد أخبرني صديق عربي في (بورتوريكو) أن أحد التجار العرب في (افنيدا دواردو) وهو مسيحي سوري يعرف المسلمين، ويمكن أن يصلني بهم، فسألني عما إذا كنت أعرف اسم ذلك العربي أو عنوانه، فقلت له: إنني لا أعرف.

فقال: الذي أعرفه أن المسلمين هنا ليس لهم أي مصلى، ولا شيء من ذلك فضلاً عن أن يكون لهم مسجد، ولكن انتظر وسوف أخبرك ثم هتف

بشـــخص حادثه بالعربية عن الموضوع، وقال لي: هذه أختي سألتها فذكرت لي أن المسلمين لهم مركز يصلون فيه قرب فندق هسبنيولا، الذي تسكن فيه، وكنت أخبرته قبل ذلك بأنني قد سكنت فيه- إلا أنها لا تعرف عنوانه.

فقلـــت له: إن المسلمين يأتون للمركز عادة في الليل، وأنا لا أستطيع أن أبقى إلى الليل بدون أن أتصل بأحدهم، لأنه ليس لديَّ وقت.

فاستمر وقتاً وهو يتصل على كثرة عمله بهواتف بعضها لا يجيبه، وبعضها يجيب بأنه لا يعرف وهو يقول إنني لا أعرف تاجراً مسلماً بهذا السوق.

وقد رأيته اجتهد لي ثم قال بعد أن يأس من معرفة ما أريد: هنالك تاجر مســيحي سوري في هذا الشارع التجاري اسمه (سعدو الظواهري) قد يدلك على ما تريد، وسوف أبعث معك أحد الموظفين ليدلك عليه.

وأردنـــا أن نســير فـــإذا بالمطر ينهمر مدراراً، فانتظرنا فترة داخل المتجر حتى خـــف المطر، وخرجنا وهو لم يقف بعد، ولم يكن في السماء عندما خرجت من الفندق سحاب يخشى أو يرجى مطره، وإلا لكنت أحضرت مظلة كانت معي في حقيبتي.

وقد توقف المطر فجأة وطلعت الشمس ثانية والشارع ما يزال يسيل بماء المطر.

وجاء الفرج:

ســـرنا على الأقدام لمسافة حتى وصلنا متجراً كبيراً هو (سوبر ماركت) أيضاً، ولكنه أصغر من سابقيه الإسباني والعربي الفلسطيني فوجدت الشخص المنشـــود رجـــلاً عربياً سورياً مرحاً، ما أن رآني حتى رحب بي بحرارة، وطلب القهوة بسرعة وهو يقدم كرسياً ويجلس بجانبي.

أخـــبرته بقصتي وإنني أطلب معرفة أحد المسلمين، فقال: نشرب القهوة ولابد من أن أضيفك أيضاً.

كـــان وديـــاً جداً ومرحاً سارع عند ما رأى إلحاحي يتصل بأحد الأشخاص فكلمه بالعربية وهو يقول لي: هذا أحد المسلمين كلمه، فكلمت بالهاتف أخاً سورياً وهـــو شاب أنهى دراسته الجامعية في الطب قبل أيام ويستعد لمغادرة هذه البلاد، فقال لي: سآتي إليك بالسيارة الآن، وسأكون عندك بعد ربع ساعة.

لقـــد جـــاء الفرج بالفعل على يد هذا العربي المسيحي الشهم الذي كان بـــالفعل ســـبباً للفرج، وقد ضحك بعد أن أخبرته بقصتي، وقال: هذا الشارع اسمه (أفنيدا دوارته) وليس (افنيدا ادواردو) كما أخبروك.

ثـــم بقيـــنا نـــتحدث وهو يستقبل المشترين أحياناً ويكل ذلك أحياناً إلى موظفين قليلي العدد في متجره ومنهم امرأة سوداء جالسة أمام خزانة النقود، وهي إحدى الموظفات عنده.

وقـــبل مضـــي ربـــع الساعة جاء الأخ المسلم الذي كلمته واسمه (سعد عـــبدالله طـــه) من الرقة في سوريا مثل المسيحي صاحب الحانوت الذي هو سوري أيضاً قال: إن أصله من السويداء.

جلســـنا نشـــرب القهوة في محل العربي الشهم (سعدو الظواهري) وكأنما وقعـــت على كنز حينما تحدثت إلى الأخ (سعد عبدالله طه) إذْ وجدت فيه بغيتي، فهو مسلم مهتم بأمور المسلمين ويعرف ما أريد من أمرهم معرفة تامة.

وقـــد اتفقـــت معه على أن نذهب الآن إلى أحد المطاعم الجيدة لنتغدى ونبحث برنامج بقائي في الجزيرة.

ثم ودعنا هذا العربي الشهم بعد أن ألح علينا بأن نتغدى أو نتعشى معه، واعـــتذرت بضـــيق الوقت وأراني الأخ (سعد طه) سيارته فعجبت من كون مثلها من السيارات تستطيع المشي.

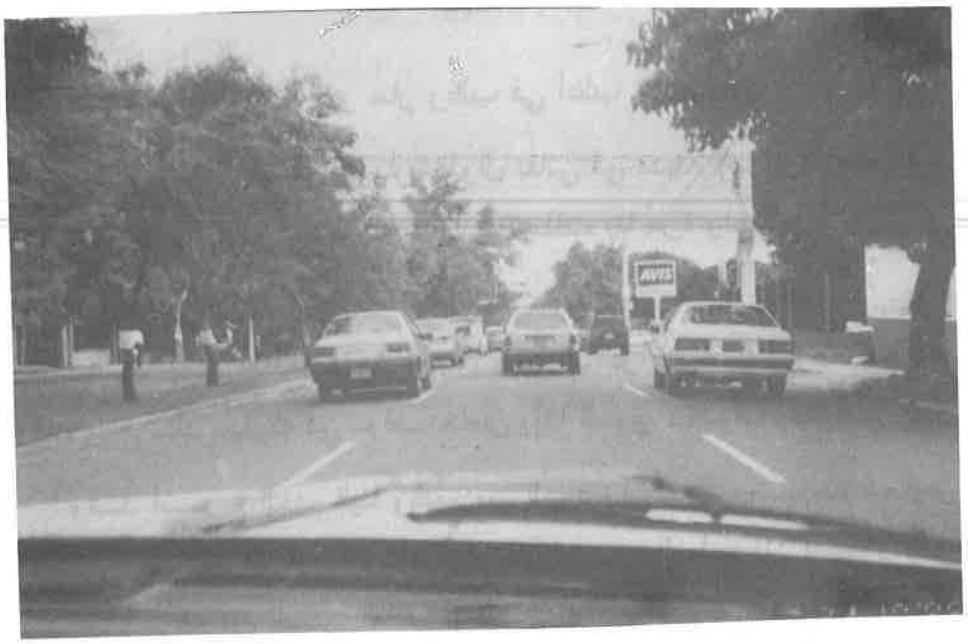

أحد الشوارع الرئيسية الجيدة في سانتو دومنقو

وقـــال كالمعـــتذر: إنها محطمة كما ترى وهي أقل قدراً من أن يركبها مـــثلك، ولكن هذا حكم الظروف، إنها سيارة طالب يدرس على حساب أهله البعيديـــن عنه في سوريا وليست أمورهم الدنيوية على ما يرام، فقلت له وأنا أركـــب فـــيها وأخشى أن يسقط بابها عندما أحركه: إن المهم ليس السيارة ولكن صاحبها، قلت ذلك وأنا أمسك بمصورتي بعد أن أغلقت الباب الأمامي حـــذراً مـــن أن تسقط مع شق في الباب يدخل منه القط الصغير، وأما باقي مظهرها فإنه دون ذلك حتى إن كل موضع منها فيه هشم أو كسر أو سبق أن تحطم ولم يصلح، وعجبت من أن يسمح لمثلها أن تسير في الشارع، وشتان بيـــن مظهـــرها ومظهر صاحبها فهو شاب سوري أنيق مظهره مظهر أمير عربي ثري، وحتى ملابسه فإنها جيدة معتنى بها، مع أن الملابس هنا لا تزيد في العادة على قطعتين هما قميص قصير الكمين وسروال غليظ (بنطال) لأن

الجو لا يسمح بغير ذلك فهو حار رطب في أغلب الأحوال.

وقد استعملت هذه السيارة طوال بقائي في مدينة (سانتو دومنقو) ولم أتركها ليلاً ولا نهاراً، وما علمت أنها تعطلت بنا مرة واحدة ولا كفت عن الحركة في أي مرة.

ذهبنا إلى مطعم ملحق بسوق كبير (سوبر ماركت) لشركة إسبانية، أوقف الأخ سعد سيارته في موقف خاص بهذا السوق مكشوف بجانبه.

وقد أسرع الخدم إلينا وكلهم من السود وإن كان بعضهم سواده ليس حالكاً، وإنما هو في لون الرماد، وأما الآكلون في المطعم فإن نسبة لا بأس بها منهم هم من البيض المتغيرين الذين أصبحوا في لون العرب، وظاهر عليهم أنهم أحسن حالاً، وأكثر مالاً من عامة الناس الذين يغلب عليهم السواد.

وليس هذا حكماً على السود بأنهم فقراء، فهم الأكثرية في البلاد وفيهم الأغنياء والأساتذة والأطباء، ولكننا نذكر ما شاهدناه.

طلبنا شواء من لحم البقر (استيك) فجاءوا به ناضجاً جيد الإعداد، إلا أنهم وضعوا فوقه شيئاً من الثوم، وجاءوا بالخل ذاكرين أن تناول الخل بعد الثوم يذهب رائحته، ومع الشواء خضرات مطبوخة وسلطة خضراء وشراب من عصير البرتقال ومن الكوكاكولا ونوعان من الخبز ثم القهوة والشاي، وكان ثمن ذلك كله لشخصين ١٣٥ بيزو ويساوي ذلك عشرة دولارات لأن الدولار الأمريكي يصرف بثلاثة عشرة (بيزة) وثلث.

وهذا رخيص، وبخاصة بعد الغلاء الذي رأيته في جزر البحر الكاريبي، إذ يتغالون في الطعام الذي يكون في مطعم نظيف مكيف.

أما هذا المطعم فإنه ليس مبرداً ولكن فيه مراوح كثيرة.

جولة في مدينة سانتو دمنقو:

وهـذه جولـة أولـى فيها، وكانت بصحبة الأخ سعد عبدالله طه وعلى سـيارته، ومعـنا الأخ نضال أحمد وهو فلسطيني يدرس في هذه البلاد مثل سعد، وقد مررنا به في بيته فخرج معنا للجولة.

كـان أول شارع وقفنا فيه هو الشارع الرئيسي في المدينة واسمه (تيرا تندس) وبعده دخلنا شارع ٢٧ فبراير وهو أطول الشوارع في داخل المدينة، إذ يـبلغ طوله ١٥ كيلومتراً، ولا شك أن هذا الطول لا يستحق الذكر بالنسبة إلى طول بعض الشوارع مثل طريق الملك فهد في الرياض الذي يشق مدينة الرياض من أقصاها في الشمال إلى أقصاها في الجنوب، ويبلغ طوله حوالي ٣٠ كيلومـتراً، ناهـيك بشارع (ديقا دابيا) في مدينة بوينس آيرس عاصمة الأرجنتيـن الـذي يبلغ طوله ٧٥ كيلومتراً، ويسمونه هناك أطول شارع في العـالم، وقـد ذكـرته مـن بيـن ما ذكرته في كتاب: (إلى أقصى الجنوب الأمريكي) الذي طبع قبل سنوات.

والسيارات في هذا الشارع كثير لما ذكرته وإن لم تكن بالغة الكثرة، إلا أن قسماً من هذه السيارات يدل على رقة الحال أو عدم المبالاة بالذوق العام، فهـي سيئة المظهر تحتاج إلى إصلاح أو طلاء أو نحوه، ولكنني لم أر فيها أسـوأ مظهـراً من هذه السيارة التي نركبها الآن مع الأخ سعد الذي لا ينفك يذكـر لـي ذلك فيها وما أنا بحاجة إلى ذكره، لأن الشق الموجود في الباب الأمامي الذي أركب منه ينبهني على ألا أضع معي أي شيء يمكن أن يسقط مع ذلك الشق في الباب المغلق.

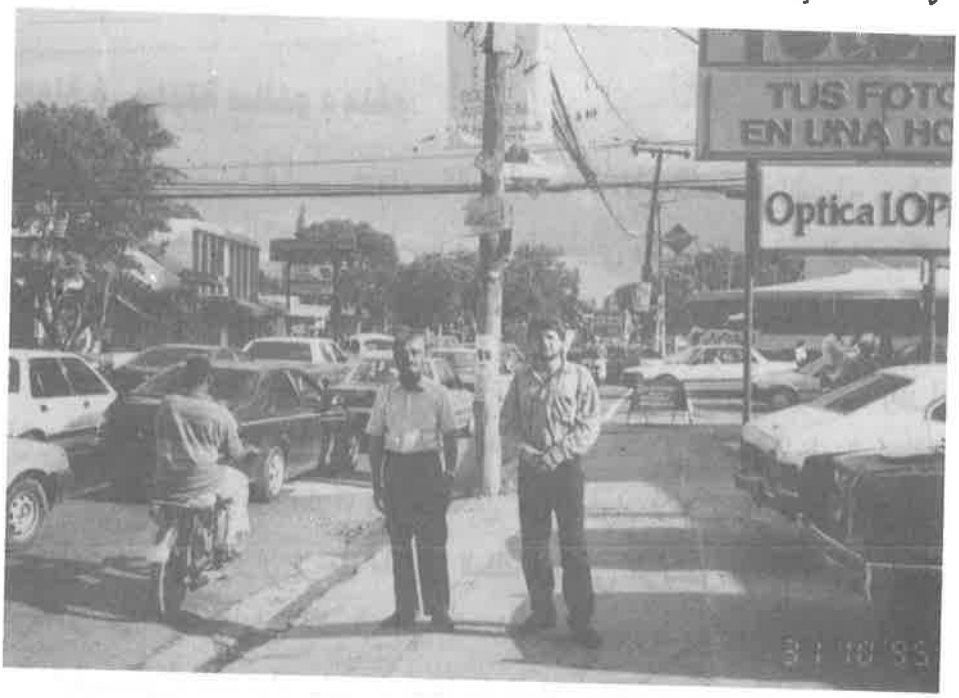

مع سعد طه في شارع (تيراتندس) في سانتو دمنقو

وقد أسموا هذا الشارع (شارع ٢٧ فبراير) لأهمية ذلك اليوم عندهم وهو يـــوم الاستقلال عن هايتي التي كانت قد حكمت بلادهم، وحاولت أن تضمها إليها حتى استقلوا عنها في ٢٧ فبراير عام ١٨٤٤م.

وفـــي مفـــارق الطـــرق في هذين الشارعين باعة يعرضون بضائعهم على الســـائقين حيـــن تقف السيارات عند الإشارة الضوئية فيه، ولون الإشارة الأحمر يطـــول نسبياً لأن هذه المفارق تكون في الغالب لأربعة اتجاهات، فيسارع هؤلاء الباعة الذين هم في الغالب من الشبان ذوي اللون الرمادي، وبضاعتهم مختلفة من الفواكـــه التي أبرزها الأنبة (المانقو) وثمار الأناناس الطازج، وفيها المصنوعات الخفيفة كالنظارات والأختام والقلائد وحتى اللوحات الفنية والعلاّقات.

مع الأخ نضال أحمد الفلسطيني في شارع (٢٧ فبراير) في سانتو دمنقو

ومـــن الطريف الذي رأيتهم يعرضونه على الناس في هذه المفارق التي أوقفـــت الإشـــارة الحمراء السيارات فيها أرانب صغيرة سود لا نعرفها في بلادنـــا لأن لـــون الأرانب البرية عندنا هو الرمادي الذي يميل إلى الحمرة، ولـــون الأرانب الأنيسة التي تربى في المزارع هو الأبيض، إلاّ ما ذكر من لون أرانب الحرة وهي الأرض ذات الأحجار السود فإنها تكون سوداً حتى لا تهتدي إليها أعداء الأرانب من الصقور والطيور الجارحة.

ويـــتقاطع شارع ٢٧ فبراير مع شارع إبراهيم لنكولن محرر العبيد في الولايـــات المـــتحدة، وعـــند الوقوف في إحدى الإشارات رأيت أناساً منهم يغسلون زجاج السيارة مسرعين ثم يأخذون ما يعطيهم السائق لقاء ذلك.

الرئيس العربي:

طالعتـــنا صور عديدة من الصور الانتخابية لشخص ذي ملامح عربية غلـــيظة فحدثـــنا الإخـــوة أنها لشخص عربي مسيحي من أصل لبناني اسمه (يعقـــوب مخلوطة) ويلفظون باسمه هنا (هاكوبو) جرياً على عادتهم في لفظ اســـم يعقوب، وأن هذا كان تولى رئاسة الجمهورية فترة قصيرة كان قبلها نائـــباً لرئـــيس الجمهوريـــة، فانتحر رئيس الجمهورية، بأن قتل نفسه فصار يعقـــوب مخلوطـــة رئيســـاً مؤقتاً للجمهورية لمدة ٣٠ يوماً، وقد رشح نفسه للرئاسة بعد أن انفصل عن الحزب الذي كان يعمل معه وألف حزباً آخر.

ويقولـــون: إن الذي ينافسه الآن منافسة حقيقية هو شخص أسود من حزب الحرية الدومنيكية وهو أول شخص أسود يرشح نفسه بجدية للفوز برئاسة الجمهورية.

وهـــناك مرشـــح ثالـــث هـــو عربي آخر اسمه (أبونادر) وهو مسيحي من فلســـطين، ويقول الناس: إنه لو فرض أن ذلك الشخص الأسود انسحب لسبب من الأسباب فإن التنافس الحقيقي على منصب رئيس الجمهورية سيكون بين عربيين.

وأذكـــر أنه عندما أصبح (مخلوطة) هذا رئيساً للجمهورية نشرت الصحف فـــي أمـــريكا أنـــه رابع رئيس جمهورية من أصل عربي في أمريكا اللاتينية، وذكـــروا أن الـــثلاثة هـــم كـــارلوس مـــنعم رئيس الأرجنتين، وطربية رئيس جمهورية كولومبيا، وثالثهم عبدالله أبوكرم، رئيس جمهورية الإكوادور.

وعلـــى أية حال فإن الذين يعرفون بواطن الأمور يقولون: إن معركة رئاسة الجمهوريـــة ســـتكون صعبة بالنسبة إلى (مخلوطة) لأنه ينافسه هذا الشخص الذي يمـــثل الســـود وقد صاروا الأكثرية العددية في البلاد إذا أضيف إليهم ذوو اللون الرمادي إلى جانب منافسته للعربي الفلسطيني الآخر لأن له حزباً قوياً يؤيده.

وقفة في شارع الشاطئ:

وصـــلنا في تجولنا إلى شاطئ البحر الذي تقع عليه مدينة سانتو دومنقو لأن فيه الميناء وعليه المدينة القديمة.

فوقفـــنا فـــي مكـــان اســـمه (مالكون) بمعنى شارع الشاطئ فيه مقاعد من الأســـمنت يقعـــد عليها المتفرجون المتنزهون، وهي على الرصيف ما بين شاطئ الـــبحر وشـــارع البحر المسمى عند العامة في بعض البلدان العربية بالكورنيش، وهذا الرصيف ممتد امتداد شارع البحر، وهو الذي يلي البحر امتداداً طويلاً.

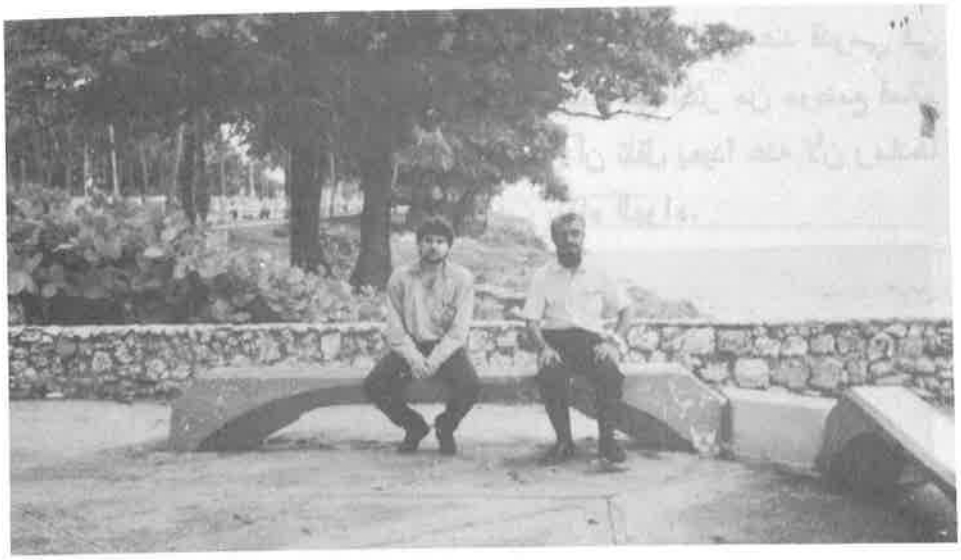

مع الأخ سعد طه على كرسي حجري في شارع البحر (مالكون) في سانتودمنقو

وترفـــرف على هذا الشاطئ أشجار النارجيل غير العالية، وأشجار من أشجار الفاكهة المسماة (أبوكافو) وهي التي تؤكل قبل الطعام مع الملح فتكون بمثابة السلطة كما تؤكل مع السكر فتصبح كالحلوى.

ولو كانوا من قوم متأنقين لجعلوا هذا الشاطئ أفخر، وذلك بأن يوسعوا رصيفه الذي يلي البحر أو يغرسوه زهوراً وأشجاراً جميلة من أشجار الظل.

على أن الشاطئ نفسه الذي يطل عليه هذا الرصيف من ارتفاع قليل ليس جميل المنظر ولا مريحاً للسابحين والمتمشين فيه فهو صخري ذو صخور سود غير معتنى به، لذلك ليس مريحاً للنظر ولا للقدم إضافة إلى كون المياه العميقة غير بعيدة منه.

وقد شاهدنا على الأفق سحاباً أسود وهو يجود بمطره جانباً بعيداً من هذا الشاطئ غير الجميل، ورأيت بعض الناس من رجال وشبان مستلقين نائمين على مقاعد الرصيف.

وقد ذكرت من عدم عنايتهم بالرصيف أو الشاطئ أنني عند قدومي في صباح هذا اليوم من المطار إلى المدينة رأيت في أكثر من موضع قمائم تحرق على شاطئ البحر مع أن المفروض أن تنقل بعيداً عنه لأن رمادها يلوث الشاطئ إضافة إلى دخانها الذي يذهب بنقاء الهواء.

صورة مع الأخ نضال أحمد على شاطئ البحر في حي (بلازا خوان) في سانتودومنقو

ميدان خوان بالون:

وخـــوان هـــو الـــذي ذكـــرت من قبل أنه هو (جون) بالإنكليزية وهي (يحـــيى)، وهذا الميدان اسمه (بلازا خوان بالون) وليس بالواسع، ولكنه مهم فـــيه نصب دقيق عالٍ يشبه المسلة ارتفاعه ٣٠ متراً، وهو واقع على شارع الشاطئ أيضاً، وتكثر الأشجار الباسقة الظليلة فيه.

وجميع الأشخاص الذين رأيناهم في هذين المكانين هم من السود أو من ذوي السواد غير الحالك.

ميناء النهر والبحر:

وصـــلنا في تطوافنا إلى الميناء الذي يقع على مياه بحرية نهرية، وذلك بأنه يقع حيث يلتقي نهر (أسامه)، ولك أن تعجب من توافق اسم هذا النهر مع اللفـــظ العربي (أسامة) وإن كان الإخوان العرب لا يعرفون أصل اسمه حيث يلتقي النهر بالبحر.

ونهر (اسامه) هو نهر مدينة سانتو دومنقو، إذ تقع المدينة القديمة عليه، ويسمون الميناء (بيورتو).

وقد رست في هذا الميناء بواخر ضخمة، وذلك لكون مياه البحر عميقة عند الشاطئ كما قدمت أن لاحظت ذلك عندما رأيت الشاطئ من الطائرة.

ولقد تذكرت وأنا أرى هذه البواخر راسية في المياه العميقة للميناء الذي تقـــع عليه المدينة كيف كانت عزيمة الرجال الأشداء الذين غامروا بخوض المجهول أيّاً كانت دوافعهم إلى ذلك حتى وصلوا إلى هذه البلاد القابعة خلف مياه المحيط الأطلسي الذي كان أسلافنا العرب يسمونه بالبحر المحيط الأعظم

وبعضـــهم يســـميه (بحر الظلمات) ولم يستطع الأوائل اختراقه لعدم معرفتهم بوجود جزر فيه يمكن أن تتخذ محطات للذهاب إلى ما بعدها جهة الغرب.

وفـــيما يخـــتص بنا نحن المسلمين كانت لنا مفخرة اعترف بها الأعداء آنـــذاك وهم الإسبان الذين جهزوا المستكشف الشهير (كريستوفر كولومبس) مكتشـــف العـــالم الجديد وهو أنه اصطحب معه طائفة من العرب المسلمين، ويســـمونهم (المورو) أو (المور) في ذلك الوقت، وقد يسمونهم المورسكيين وإن كـــانوا يقصـــدون بذلك أبناء العرب المسلمين الذين أجبروا آباءهم على التظاهر بالتنصر واعتناق المسيحية حذراً من النفي والقتل.

شاطئ البحر في سانتودومنقو

فكـــان أولـــئك العرب فيهم العلماء والكُتّاب والحساب، وأهل البصر بالهندسة وعلـــم الـــنجوم، ولـــم يكن ذلك موجوداً عند غيرهم، لذلك اصطحبهم كريستوفر كولومبس فيسروا له نجاح رحلته، وهذا أمر مسجل معروف تاريخياً الآن.

وأمر آخر له أهميته وهو أن العرب المسلمين في الأندلس كانوا قد قاموا بمحـــاولات عديـــدة لاختراق هذا البحر المحيط ومعرفة ما وراءه محبة في الاكتشـــاف والإطـــلاع على المجهول، وليس من أجل الحصول على الثروة المتمـــثلة فـــي الذهب أو في البحث عن طريق يوصل إلى الهند بلاد التوابل التـــي تـــباع بأثمـــان غالية كما فعل المكتشفون الأوروبيون الذين ظنوا أنهم ســـيجدون طـــريقاً إلى الهند من جهة الغرب أقرب من الطريق المعتاد آنذاك الذي يذهب إلى جهة الجنوب مساحلاً مع شواطئ إفريقية الغربية حتى يصل رأس الـــرجاء الصالح فيدور حول القارة الإفريقية ثم يتجه من جهة زنجبار شرقاً إلى بلاد الهند، وذلك قبل حفر قناة السويس.

ولذلك عندما اكتشفوا جُزائر البحر الكاريبي سموها جزائر الهند الغربية ولا تزال تسمى بهذا الاسم حتى الآن.

ومـــع كوننا لا نغمط المكتشفين الأوروبيين حقهم في الفخر بما أنجزوه، ونتمـــنى أن نكون نحن الذين حزنا وحصلنا عليه فإنه لا بأس في أن ذكرت سابقاً ما سجله أحد علمائنا العرب عن طائفة من الفتيان أهل الأندلس أرادت بجهودهـــا الخاصة كما يقال الآن أن تخترق بحر الظلمات هذا وهو المحيط الأطلسي فأبحرت من الأندلس متجهة غرباً، وبعد أهوال عظيمة قاسوها من الأمـــواج وتقلب الأنواء، رمى الموج بسفنهم على أرض يابسة ففرحوا لأنهم ظـــنوا أنهـــا الأرض الواقعة خلف المحيط إلا أنهم اكتشفوا أنها الجزر التي

تسمى الآن (جزر الكناريا) وتقع مقابلة لساحل موريتانيا والصحراء الغربية.

ذكر ذلك صاحب كتاب: (الروض العطار، في خبر الأقطار)، وتبين لي أنه نقله عن كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) للإدريسي.

المدينة الاستعمارية:

عطفنا يساراً تاركين الميناء والنهر المختلط بالبحر وذلك لرؤية المدينة القديمة لسانتو دومنقو ويسمونها (سودادي كونيال) وتعني بالترجمة الحرفية المدينة الاستعمارية، لأن (سودادي) هي مدينة، وكونيال: استعمارية بالإسبانية.

وهذه لها شبيهة بل شبيهات في بلاد أخرى من العواصم التي كان الإسبان يستعمرونها في أمريكا الجنوبية من أشهرها مدينة في بنما وجزء من مدينة كيتو عاصمة الإكوادور، وقد ذكرت ذلك في كتبي التي ألفتها عن أمريكا الجنوبية، وبعضها مطبوع مثل كتاب (رحلات في أمريكا الوسطى) و(على قمم جبال الإنديز)، و(إلى أقصى الجنوب الأمريكي)، و(بين الأرغواي والباراغواي)، والسبب في تسميتها بذلك كونها المدينة التي بناها المستعمرون الإسبان عندما قدموا إلى هذه البلاد، ولذلك تضم أبنية أثرية ثمينة أكثرها مبنى على الطراز العربي لأن الإسبان عندما استعمروا أمريكا الجنوبية والوسطى لأول مرة لم يكونوا يعرفون من الأبنية الفاخرة إلا الطراز الأندلسي الفاخر.

وقد رأيت ذلك ماثلاً للعيان في القسم القديم من مدينة (ليما) عاصمة بيرو حتى إن الرواشين العربية ما تزال موجودة، والرواشين: جمع روشان وهو النافذة في الجدار يكون بابها من خشب مظفور كأنه مخرق بحيث يرى من يكون في باطن المنزل من يكون في خارجه من دون أن يستطيع من في الخارج أن ينظر إليه.

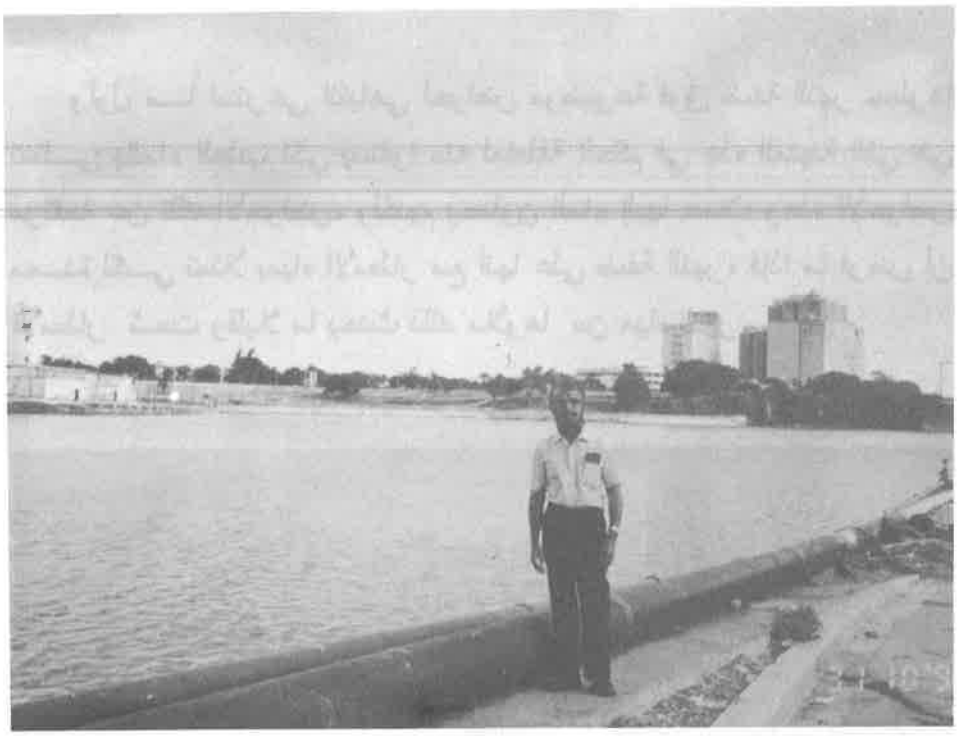

صورة للمؤلف على شاطئ نهر (اسامه)
حيث يقرب من الاقتران بالبحر في (سانتو دومنقو)

وتقـــع (ســـودادي كونـــيال) المدينة الاستعمارية أو المدينة القديمة على الضـــفة ا ليمـــنى لنهر (أسامه) مرتفعة عنه فوق تل جبلي صغير ليس بالغ العلـــو، ولكـــن تلك عادة إسبانية أن يجعلوا العاصمة الاستعمارية في مكان مـــرتفع إذا وجـــدوا إلى ذلك سبيلاً حتى إنهم جعلوا عواصم بعض الأقطار الاســـتوائية مـــثل كيتو عاصمة الإكوادور وبوغوتا عاصمة كولومبيا ولاباز عاصمة بوليفيا في رؤس جبال فراراً من الحر، وطلباً للجو المنعش الخفيف في وقت لم تكن فيه المراوح الكهربائية والمكيفات موجودة.

وأول مـــا استرعى انتباهي أحواض موضوعة فوق ضفة النهر جعلوها تمتلـــئ بالماء العذب لكي يستقوا منه لمنطقة الحكم في هذه المدينة التي هي مرتفعة عن تلك الأحواض، ولكنهم يحملون الماء إليها حملاً، وهذه الأحواض معـــدة لكـــي تمتلأ بمياه الأمطار مع أنها على ضفة النهر، فإذا ما فرض أن الأمطار شحت وقليلاً ما يحدث ذلك ملأوها من مياه النهر.

وقد رأيتها مهملة مليئة بمياه المطر الذي سقط اليوم بغزارة.

مع الأخ نضال أحمد على مدخل القصر الاستعماري (كونيال)

دخلـــنا إلـــى المديـــنة الاستعمارية مع بوابة ذات قوس عربي أندلسي تسمى بورتـــا دي ســـان ديقو أي بوابة سان ديقو ونحن نسير على أقدامنا، فصعدنا مع درج مـــن الآجـــر إلـــى حيـــث مـــيدان واسع عليه المباني القديمة أسافلها مبنية بالحجارة، وأعاليها بالآجر والطين، وبعض المباني يظهر أنه مبني كله بالحجارة.

ومـــع أن هـــذه المباني قد تأنق بانوها في بنائها، وأنها أو أكثرها على الطـــراز العربي الأندلسي فإنها دون المباني الأندلسية الخالصة، والموجودة الآن في إسبانيا أو المغرب.

بيت ابن كريستوفر:

من هذا الميدان الذي فرشوا أرضه كلها ببلاط من الحجارة يصعد درج حجـــري إلـــى مكان مرتفع من الميدان أيضاً عليه قصر أندلسي بديع البناء، وبخاصـــة الأقواس التي تركب أبوابه ويسمونه قصر ديقو كولون، وهو ابن المكتشـــف الشـــهير كريستوفر كولومبس، واسمه (ديقو) وكولون: اختصار كولومبس هكذا قالوا لي، ولا يعرف هنا إلاّ بكولون.

وكـــان (كولون) هذا ممثلاً لملك إسبانيا أي حاكماً للبلاد باسمه في هذه الأرض المستعمرة التي لم يكن أهل العالم القديم يعرفون عنها شيئاً، وتسمية القصر عربية، إذ اسمه (الكازرو كولون) والكازرو: هي القصر بالعربية.

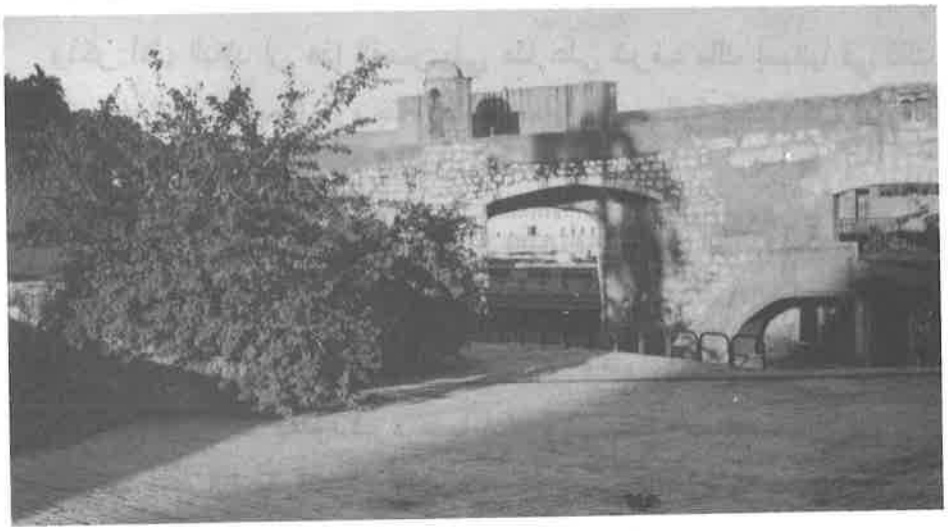

مدخل قصر كولون في سانتو دومنقو

ومـــن أخبار هذا القصر الشائعة الآن أنه بني فيما بين عامي ١٥١١-١٥١٦م أي إن بناءه استغرق خمس سنوات، وأنه كان يعمل فيه ١٥٠٠ من العمـــال الوطنيين، ولا شك أنهم كانوا مجرد عمال تحت مهندسين عرب أو إســبان تعلمــوا على العرب في ذلك الوقت، لأن الهنود والمراد بهم الهنود الأمريكيون الذين هم سكان هذه المنطقة الأصلاء قبل أن يصلها الأوروبيون لم تكن لهم في هذه المنطقة أطرزة معروفة للبناء، وإن كان أبناء عمومتهم أو الذيــن يشــتركون معهم في التسمية من سكان المكسيك وبخاصة من شعب (المايا) وكذلك سكان المناطق الجبلية في بيرو الذين يسمون (الإنكا) قد كانت لهــم أبنية خاصة بهم إلا أنهم كانوا يفرغون جهدهم في بناء المعابد ومساكن الملوك، وأما عامة الشعب فإنه كان يسكن بيوتاً من الأخشاب أو القش.

وتســمى هــذه الساحة الحجرية الواسعة في المدينة الاستعمارية (بلازا إسبانيا) أي ساحة إسبانيا، وهي التي يقع عليها هذا القصر.

وذكر أهل البلاد إن هذا القصر بني هنا على شرف ملك إسبانيا في ذلك الوقــت (خوان كارلوس) وزوجته الملكة صفية أو صافية هكذا ذكروا، وإذا صح ذلك فإن هذا الاسم عربي الأصل.

وقد أقاموا أمام القصر تمثالاً مكتوباً عليه أنه للحاكم الثالث لهذه المنطقة باسم ملك إسبانيا أي إنه الحاكم الذي لم يسبقه إلا حاكمان هما الأول والثاني.

ومع أن (الكازرو كولون) أي قصر كولون واقع هنا على الضفة الغربية لنهر (اسامه) فإنهم قد أبعدوا قبره عنها فدفنوه في مكان مرتفع مقابل لها من جهة الشرق على الضفة الشرقية للنهر.

وقد احتفوا بقبره وسوف يأتي الكلام عليه عندما يصل الحديث إليه إن شاء الله.

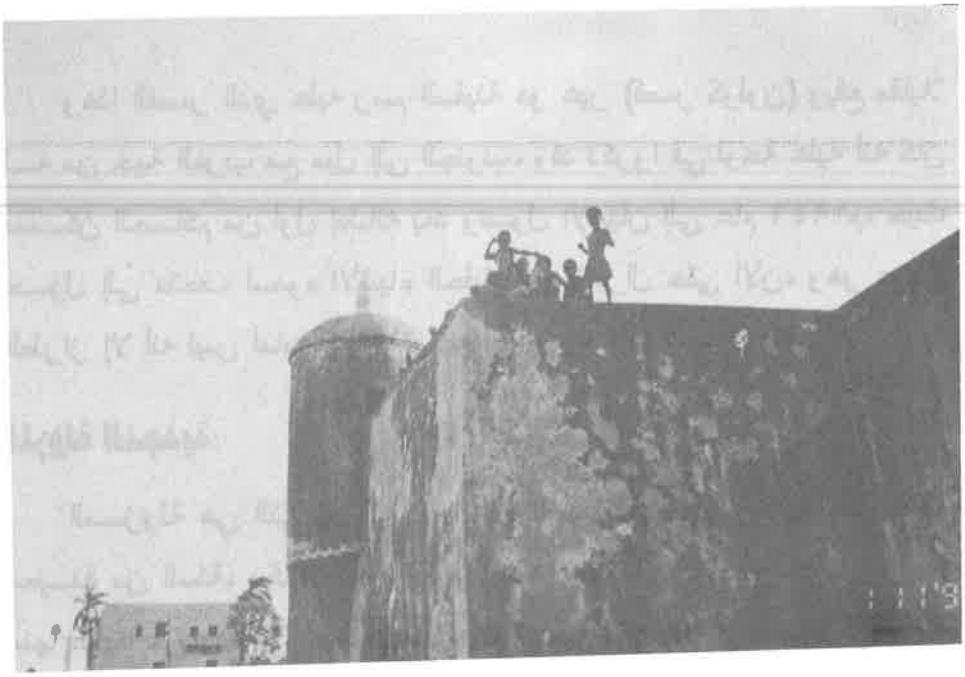

أطفال يطلون من سطح قصر كولون في سانتو دومنقو

السفينة التي وصلوا عليها:

علـــى هذا الميدان التاريخي رسموا لوحة ثمينة تمثل السفينة التي وصل علـــيها كرســـتوفر كولومـــبس وأصـــحابه الذين كانوا معه واسمها (ايزابيلا هسبنيولا) وعلى اسمها سميت هذه الجزيرة الكبيرة من جزر البحر الكاريبي التي تتقاسم أرضها الآن دولتان هما هايتي والدومنيكان (هسبنيولا) وهي أكبر جزيرة في الكاريبي بعد جزيرة كوبا كما هو معروف.

وقـــد كتـــبوا تاريخ إرسائها في هذا الشاطئ وهو عام ١٥١٢م وحق لهم أن يكتبوه فهو حدث خالد غَيَّرَ وجه الحياة في المنطقة، بل غير وجه التاريخ فيها.

وهذا القصر الذي عليه رسم السفينة هو غير (قصر كولون) ويقع مقابلاً لـــه من جهة الغرب مع ميل إلى الجنوب، وقد ذكروا في لوحة عليه أنه كان مســكن الحــاكم من أول إنشائه بعد وصول الإسبان إلى عام ١٩٤٦م، حيث حــول إلى متحف أسموه الأشياء الحقيقية، ولا يزال حتى الآن، وهو عربي الطراز إلا أنه ليس أمامه رواق تركبه أقواس عربية كقصر كولون.

المزولة النجدية:

المــزولة هي التي يعرف بها زوال الشمس من وقوع ظلها على نقطة معيــنة من السنة، وكانت معروفة مستعملة عندنا في نجد، وأذكر أن واحدة منها كانت موجودة في المسجد الذي كنا نصلي فيه لأنه قرب بيتنا في مدينة بــريدة، وهو مسجد عبدالرحمن بن شريدة، ويسميها قومنا (الشاخص)، وهي حصاة رقيقة مثلثة الشكل توضع في الحائط الأعلى من سطح المسجد فتكون شبيهة بالسهم إذا نصبت وثبتت في الجدار.

وقد رأيتها اليوم هنا في مكان مرتفع من ساحة إسبانيا هذه لا تختلف كما كان موجوداً عندنا في بريدة بشيء، وهي من دون شك مما أدخله العرب إلى إسبانيا لأنه ليس من المعقول أن تأتي إلينا في نجد من إسبانيا.

وقــد كتــبوا علــى (المزولة) الدومنيكية هذه ذات الأصل العربي أنها أصلحت في عام ١٧٥٣م.

وبجانــبها أشــياء لم نعتد على وضعها لأنها لم تكن موجودة عندنا في الماضــي وهــي مدافــع قديمة رأيناهم نصبوها هنا في شرفات هذا المكان المرتفع المطل على الميناء.

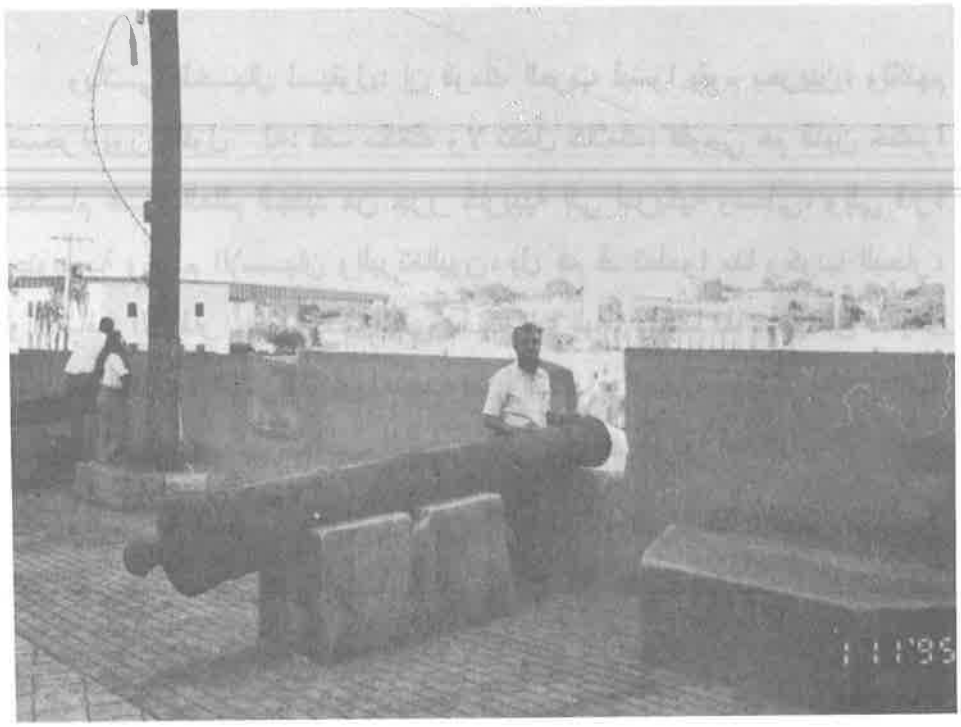

المؤلف لدى المواقع الأثرية في المكان المرتفع من قصر اسبانيا في سانتو دومنقو

هـذا والجـو فـي هذا المكان المرتفع قليلاً جيد، وليس بالغ الرطوبة، وأخـبرنا الإخوة أن الجو هنا لا يكاد يتغير، وإن درجة الحرارة تكون طول الوقت ٢٨ درجة مئوية في النهار لا تزيد إذا زادت عن ذلك إلا درجتين ولا تنقص عن ذلك إذا نقصت إلا بدرجتين.

واستجلينا المنطقة من هذا المكان المرتفع التاريخي الذي يعبق بذكريات الأمجـاد العربية التي ضيعها أهلها، فقد كان أسفي بالغاً عندما أرى جزيرة كاريبـية يقول القائلون: إنها إنكليزية، ثم أخرى يقولون: إنها فرنسية، وثالثة هولندية فأسأل نفسي أين العربية؟

ويأتي الخيال ليقول: إن قومك العرب ليسوا بقوم بحريين، ولكنهم صحراويون فأقول له: قف مكانك ولا تكمل كلامك، فقومي هم الذين حكموا حكام هذا العالم الجديد من جزر كاريبية إلى أمريكية وسطى، وإلى قارة جنوبية وهم الإسبان والبرتغاليون، بل هم قد تعلموا منا ركوب البحار، واكتشاف الأقطار حتى وصلوا إلى ما وصلنا إليه، ولكننا تقاعسنا عن صيانة أمجادنا القديمة، ثم فرطنا فيها بخلافاتنا واقتتالنا واستعانة بعضنا بالعدو ضد إخوانه المسلمين حتى ضاعت الأندلس التي كان قد كسبها أجدادنا.

والمصيبة العظمى والطامة الكبرى أننا لم نتعظ بكارثة الأندلس فها نحن الآن نرى بعض بني قومنا يكررون عن غير قصد ما فعله الأخلاف في الأندلس فيتقاتلون فيما بينهم تاركين الأعداء يفرحون، بل ويجنون ثمار ما عملته أيدينا، فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

يقضي المرء في أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له﴾ صدق الله العظيم.

وعدنا إلى شاطئ البحرين وهما نهر (اسامه) وبحر الكاريب، فرأينا السيارات يزدحم بها الطريق على سعته في هذا المكان وأشار القوم إلى المدينة القديمة وهي الهندية التي كانت موجودة في المكان قبل وصول الأوروبيين، وكانت مبنية من أكواخ من الأخشاب والقش فأصابها حريق قضى عليها، وذلك في عام ١٥٠٢م أي قبل وصول الأوروبيين إلى المنطقة بعشر سنين، وكانت تلك المدينة القديمة تقع على الضفة اليسرى لنهر (اسامه) أي جهة الشرق منه.

فانتقل أهلها إلى الضفة اليمنى، وأنشأوا منازلهم فيها، حيث المدينة الحالية، وإن كانت تغيرت عما كانت عليه بطبيعة الحال.

ثم رأينا حديقة كبيرة مستطيلة على شاطئ البحر المرتفع وهي أشجار فقط ليس فيها زهور ولا شيء من التحسين، وإنما وضعوا فيها مقاعد من الأسمنت الذي صبوه على هيئة مقاعد مستطيلة.

المركز الإسلامي:

مع ما يوحي به هذا الاسم من العظم والشمول لأن المركز الإسلامي يشتمل في الغالب على مسجد وقاعة محاضرات ومكتبة ومدرسة أو بعض ذلك مع المسجد، فإن مسجد المركز الإسلامي أو لنقل إنه مصلى المركز الإسلامي في هذه المدينة صغير الرقعة ضيق المساحة قد ضاق بالمصلين مع أنه ليسوا بالكثير.

فقد ذهبت مع الإخوة لصلاة العشاء فيه والاجتماع بأمير المسلمين فيه.

وجدت المركز غرفة واحدة ضيقة تدل على رقة الحال، وقلة المال، بل ضعف الحيلة والوسيلة تبلغ مساحة الغرفة ٤٠ متراً مربعاً فقط، لذلك رأيتها مزدحمة بالمصلين وأكثرهم من أصول هندية من الهند وباكستان وجنوب إفريقية، وهم رُكع سُجَّد في هذه الغرفة الضيقة التي لم يمنعهم ضيقها من أن يضعوا فيها رفوفاً مليئة بالكتب الدينية والمصاحف إلى جانب لوحات عربية معلقة على حوائطها، وقد ترجموا معاني كل لوحة إلى الإنكليزية تحت العربية، ومنها الآية الكريمة: **﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً﴾**، والبسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) وترجمتها.

وقــد صلينا معهم صلاة خاشعة نسأل الله تعالى أن يقبلها لم يكدرها إلا ضيق المكان، فتنفلوا بعد الفريضة ما شاء الله لهم، ثم أقبلوا على القراءة في (الأربعين النووية) وتفسيرها بالإنكليزية.

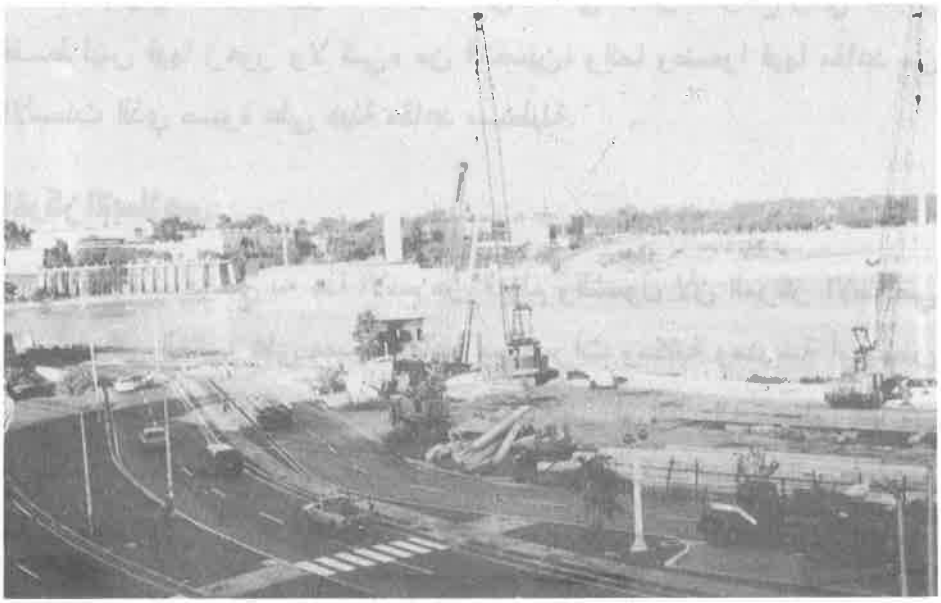

ميناء سانتو دومنقو على مياه مختلطة من البحر والنهر

وهــذا المسجد أو المصلى باصطلاح المتأخرين هو أول مسجد يتخذ في هذه الــبلاد تصــلى فــيه الصــلوات الخمــس والجمعة بانتظام، وقد أسموه (المركز الإسلامي) تفاؤلاً بأن يتسع فيصبح كذلك مع أنه على ضيقه يستأجر بأجرة ترهق طاقــتهم علــى دفعها وهي (١٨٠) دولاراً في الشهر، ذكروا أنهم يجمعونها فيما بيــنهم مــع كونهم طلاباً يحتاجون إلى من يساعدهم، لأنهم جاءوا إلى هذه البلاد للدراســة فــي جامعاتهــا، وينفقون على دراستهم بأنفسهم مما يرسله أهلوهم لهم، حدثونا عنه أنه افتتح في شهر نوفمبر عام ١٩٩٤م واستمر حتى الآن.

يؤدون السنة بعد الصلاة في مسجد المركز الإسلامي في (سانتو دومنقو)

وقد أعجبني حرصهم على أداء صلاة العشاء في المسجد وبكثافة ظاهرة.

وقد سألتهم عما إذا كانوا كتبوا لرابطة العالم الإسلامي أو غيرها من المؤسسات والهيئات الإسلامية لمساعدتهم على دفع أجرة الغرفة التي لها نصيب في حمام خارج عنها بحيث اشترطوا أن يكون الحمام مفتوحاً لهم، مباحاً لهم أن يتوضأوا فيه، فنفوا ذلك، وذكروا أنهم لم يكتبوا إلى أحد، وأنهم الآن في ضيق من كونهم لم يدفعوا أجرة الشهر الفائت لصاحب المحل الذي كانوا عودوه عدم التخلف في الدفع لئلا يتضايق هو أو سكان العمارة منهم، لأن هذا المسجد أو المصلى في الطابق الأرضي من مبنى مؤلف من عدة طوابق.

فأخبرتهم أنني سوف أدفع لهم أجرته لمدة سنة كاملة على وجه التقريب، وإذا حصلوا على شيء من التبرعات خلال ذلك استطاعوا أن يصرفوه في

مصاريف المسجد الأخرى كاستهلاك الماء أو الكهرباء أو شراء كتب إسلامية.

وأخبرتهم أننا في رابطة العالم الإسلامي نضمن أن ندفع لهم أجرة المقر وحتى إذا انتقلوا منه إلى مكان أفسح منه شرط أن يكتبوا لنا بذلك كتابة موثقة لأننا ونحن في مكان بعيد منهم لا نضمن أن يبقوا هم في إدارته، ولا نستطيع أن نعلم ذلك بسهولة.

فشكروا ذلك وقدروه، وذكروا أنه كان قدم إليه شخص سعودي يعمل في السفارة السعودية في كاراكاس عاصمة فنزويلا فعرف أمرهم، وعرفوه بحالهم ولكنه لم يعطهم شيئاً، ولم يسمعوا بأنه فعل لهم أي شيء بعد ذلك.

فقلت لهم: إن الموظفين أمثاله الذين لا يعتبرون من كبار الموظفين يكتبون تقاريرهم في العادة ثم ترفع إلى من هم أكبر منهم، وذلك يستغرق وقتاً طويلاً، إضافة إلى كونه لم ير عندهم مشروعاً محدداً يحتاج إلى مساعدة كبيرة.

وقلت لهم بهذه المناسبة: لماذا لا تبحثون عن أرض للحكومة وتتقدموا بطلب إنشاء أول مسجد في الجمهورية، ولا شك أنها إذا كانت مثل بعض الحكومات الأجنبية التي تحب التقرب من الأقطار الإسلامية عن طريق منح المسلمين فيها تسهيلات لممارسة شعاراتهم فإنها ستفعل ذلك.

وقلت لهم: إنهم يستطيعون أن يستعينوا بسفراء بعض الدول المسلمة على ذلك لأن بعض السفراء تكون لديهم مبادرات شخصية في هذا المجال حتى وإن لم يتلق السفير من حكومته أمراً به، لأنه مجال يهم كل مسلم.

فعقبوا على ذلك بقولهم: إنه لا يوجد في هذه البلاد أية سفارة لأية دولة عربية مسلمة ما عدا قنصلاً فخرياً للأردن وهو شخص مسيحي.

جولة مع كبار المسلمين:

كنت أحدثهم في المسجد فتقدم أحدهم وهو الأخ (ادريس مانقا) من مدينة دربند في جنوب إفريقيا طالباً أن نذهب معه إلى بيته لاستكمال البحث في الموضوع، فذهبنا جميعاً وعقدنا اجتماعاً في بيته حضره أمير المسلمين الأخ (خورشيد عبدالرزاق خان) وهو أخ كريم من أصل باكستاني وهو مثلهم جاء إلى هذه البلاد لطلب العلم في إحدى جامعاتها التي تدرس باللغة الإنكليزية ومعترف بشهاداتها في الولايات المتحدة الأمريكية كما يقولون حتى إن بعض الجامعات والكليات الأمريكية تحول الطلاب إلى بعض الجامعات في هذه البلاد.

المؤلف مع كبار الإخوة المسلمين في منزل الأخ (إدريس مانقا) في سانتو دومنقو

وأغلب الإخوة هنا يدرسون الطب، وبعضهم يدرس الهندسة، أي أن دراستهم متعلقة بمواد علمية ليست بدراسة نظرية قصد منها مجرد الحصول على الشهادة، والله أعلم بما وراء القصد.

وقد ذكروا بحضور الجميع أن أمير المسلمين ينتخب كل سنة من المسلمين الذين يجتمعون لهذا الغرض، ولم يكن حاضراً في هذا الاجتماع من الإخوة العرب إلا اثنان أحدهما الأخ (سعد عبدالله طه) الذي كان سبب تعرفي بالمسلمين واتصالي بهم وهو من سوريا، و أخ كريم آخر لازمني أيضاً جزاه الله خيراً، وهو الأخ (نضال أحمد) من فلسطين، وأخ مستعرب وهو باكستاني كان عاش في المدينة المنورة لعدة سنوات ويجيد العربية.

وكان بين الحاضرين إلى جانب أمير المسلمين نائب الأمير، وخازن الجمعية.

وقد أحضر الأخ إدريس مانقا مشروبات ساخنة وباردة لضيوفه كلهم، وفي خلال ذلك ألقيت فيهم كلمة مبسطة شرحت لهم فيها حقيقة العمل في رابطة العالم الإسلامي، والغرض من زيارتي لهم، وقلت لهم: إنكم إذا لم تتصلوا بإخوانكم في الحواضر الإسلامية فإن معنى ذلك أن ترضوا بأن تبقوا مجهولين منهم، وبالتالي لا يستطيعون أن يساعدوكم، لأنهم لا يمكن أن يساعدوا من لا يعرفونهم، لذلك يجب عليكم من الآن أن تبادروا بالكتابة إلى الجهات التي تتعاون مع الإخوة المسلمين في الخارج وعلى رأسها رابطة العالم الإسلامي، التي سوف أقيد كل ما رأيته وسمعته منكم وأودعه فيها، ولكن العمل فيها كثير،وهي تعمل على مستوى العالم كله والذي يعمل على مستوى العالم كله لا يستطيع أن يلبي جميع الطلبات في آن واحد، لذلك يسير موظفو الرابطة في بعض الأحيان على طريقة الأول فالأول وتقديم الأهم على المهم، ثم ذكرت أسماء وعناوين الجهات التي يمكن أن تساعدهم في بلادنا وفي بلاد الخليج عامة.

وقلـــت لهـــم: أرجـــو أن تتذكروا أنكم الآن وأنتم قلة فيما ترونه وفيما تعـــتقدونه أنكم أنتم أكثر من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول عهـــده بالدعوة، وبعد ذلك انظروا ماذا فعلت دعوة الإسلام، إنها لو لم يوجد شاهد على سعتها وانتشارها إلاّ وجودكم في هذا البلد النائي لكفى.

ولذلـــك أرجو أن تؤملوا أنكم وأنتم بهذه القلة العددية سوف تكونون نواة لمجتمع إسلامي يكبر وينمو على الأيام قياساً على ما حدث في أقطار عديدة.

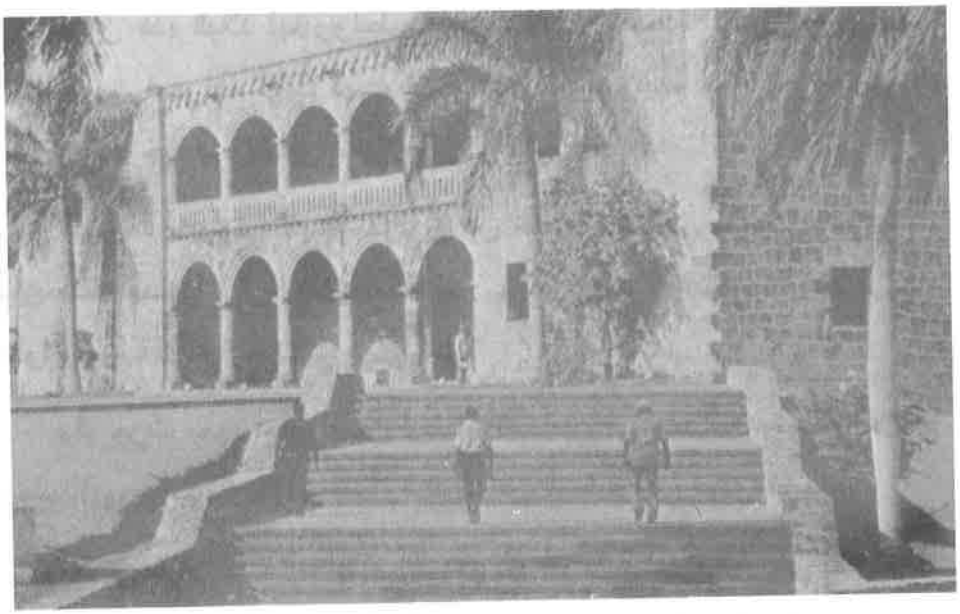

أقدم كنيسة في سانتو دومنقو

وأهم ما ينبغي أن تعملوه أن تحاولوا أن تملك الجمعية الإسلامية أرضاً تبنـــي علـــيها مسجداً أو أن تشتري بيتاً صالحاً لتحويله إلى مسجد وفصول دراســـية لتعليم مبادئ الدين الإسلامي، وثقوا أنكم وإن كانت إقامتكم في هذه

الـــبلاد مؤقـــتة بانتهاء دراستكم لا تعلمون من سينتفع بالمسجد بعدكم، بل إن بعضـــكم قد يرى أنه يمكنه أن يقيم هو نفسه في هذه البلاد فينتفع هو وأولاده بالمسجد مثلما ينتفع به سائر المسلمين.

وقلـــت لهـــم: إنني أرجو أن تذهبوا بأنفسكم إلى الإخوة المسلمين الذين تعـــرفون وجودهـــم فـــي هذه البلاد فتطلبوا منهم أن ينضموا إليكم في أداء الصلوات والتبرع للمسجد، ولا تتركوهم حتى تقيموا عليهم الحجة بذلك.

ثم إن هذه البلاد لها روابط وثيقة بالولايات المتحدة الأمريكية، والإخوة المســـلمون فـــي أمـــريكا لهـــم نشاط في الدعوة وفيهم خير كثير فيجب أن تخبروهم بوجودكم وتطلبوا منهم العون والتشجيع.

هذا وقد أخبروني أنهم مسئولون عن العمل الإسلامي كله في هذه البلاد، وإن هناك مسجداً آخر اسمه مسجد النور تابعاً لهم، وقد افتتح منذ عهد قريب، قالوا وسوف تراه فيما بعد.

وقد جرت معهم أحاديث عن أوضاع المسلمين في هذه البلاد شملت أعدادهم وجنسياتهم، وتقدم ذكرها في فصل الحديث عن المسلمين في صدر الكتاب.

وفـــي ختام اللقاء أعطيتهم ألفي دولار أمريكية أجرة المصلى لمدة سنة، وذلـــك بحضـــور الجميع فتسلمها الخازن ووقع المسئولون في الجمعية على ذلك، بحضور الآخرين.

يوم الأربعاء: ١٤١٦/٦/٨هـ - ١٩٩٥/١١/١م:

معضلة السفر:

كنت قررت من قبل أن أسافر بعد ظهر اليوم إلى هافانا عاصمة جمهورية كوبا للتعرف على الإخوة المسلمين هناك الذين وصلتنا أخبار مشجعة عنهم، وذلك أنهم يتآلفون من مسلمين جدد ومن طلاب قدماء أقاموا في كوبا فيهم فلسطينيون وأعداد من الصحراويين الذين ذكروا أن منهم بعض الطالبات أيضاً وأخبرنا الثقاة أن سفير نيجيريا في كوبا وهو مسلم متحمس شفع لهم عند حكومة كوبا فخصصت مسجداً تريد أن يصلي فيه العاملون في السفارات الإسلامية في كوبا وهم عدة.

صورة تذكارية مع الأخ سعد طه في حديقة فندق (هسبنيولا)

وكـــان الإخوة قد ذهبوا معي بعد المغرب إلى بيت أخ مسلم من جنوب إفريقـــيا اسمه أحمد يطلب علم الطب هنا مثلهم، ولكنه يعمل في وقت فراغه مع مكتب سياحي ذكروا أنه يستطيع أن يعمل لي ما لا أعمله وحدي.

وقـــد حضـــر إلي في هذا اليوم وذكر أنه اتصل أمس بالمكتب السياحي فأخـــبره أنه لا يوجد طيران إلى كوبا غداً، وإنما يوجد بعد غد الخميس بعد غروب الشمس، وهذا معناه أن أبقى أكثر من ثلاثة أيام زيادة على ما قدرته لأن المدة التي كنت حددتها للبقاء في بلاد البحر الكاريبي قد انتهت اليوم.

فعدلت عن السفر إلى كوبا مرجئاً ذلك إلى فرصة أخرى أرجو أن تسنح لزيارتها وزيارة هايتي معها.

وذهبنا اليوم ومعنا الأخ أحمد إلى المكتب السياحي فسألته عن الخطوط الجوية التي يمكن أن أسافر معها إلى أوروبا اليوم أو غداً، فذكر أن الإسبانية تســـافر فـــي آخـــر النهار كما هو مقرر غير أنها لن تسافر اليوم لأن هناك إضـــراباً للعاملين في الطيران في مدريد نتج عنه تعطل السفر إليها، وتوقف العمـــل فـــي مطارها، وأما الفرنسية فإنها لا تسافر إلا بعد غد الجمعة، وأما الإيطالية فإنها تسافر غداً ولكنها مليئة حتى رحلة يوم الأحد هي مليئة أيضاً.

قالوا: ولم يبق إلا البرتغالية ولا يعرفون عنها شيئاً ويمكن أن نذهب إلى مكتبها وكل هذه الشركات الأوروبية تسافر إلى عواصم بلادها وعليَّ أن أجد طيراناً عاجلاً منها إلى جدة أو الرياض، واعتقدت أن ذلك ممكن لأن تذكرتي مفتوحة يمكن تغييرها من أية شركة وإلى أي اتجاه.

وقد ذهبنا إلى كل هذه الشركات فكانت كما ذكروا، أما البرتغالية فذكرت موظفة في مكتبها أنهم لا يستطيعون تغيير تذكرتي لأنهم لا يعرفونها ولم يسبق لهم أن رأوا مثلها من قبل.

وهكذا عرفت بعد أن تعبت وأتعبت الإخوة الذين معي أنني يجب أن أسافر إلى ميامي في الولايات المتحدة لأن معي تذكرة على الدرجة الأولى من ميامي إلى نيويورك ثم جدة وهي مفتوحة أيضاً وظننت أنني إذا وصلت ميامي أجد فيها شركات اعتادت التعامل مع السعودية فتغير تذكرتي وفق الخط الذي أريده.

ولذلك ذهبنا إلى مكتب (أمريكا إيرلاين) وحجزنا معها إلى ميامي في السابعة من صباح الغد لأنه لا توجد رحلة أخرى إليها قبلها.

كانت هذه الجولة متعبة حقاً، ولكنني اطلعت من خلالها على المزيد من أرجاء مدينة (سانتو دومنقو) فتأكد عندي غلبة السواد على أهلها وخُيِّل إليَّ أن الشعب يزداد سواداً على الأيام، وذلك لمزيد اختلاطه بالسود، لأن الأسود أو الرمادي اللون لا يمانع في أن يتزوج سوداء لقرب لونه من لونها، ولكون اللون الأسود أقوى في الوراثة من اللون الأبيض، بمعنى أنه إذا تزاوج أبيض وأسود فإن الأولاد يغلب عليهم السواد أكثر مما يغلب عليهم البياض، وإن تكن فيهم أثارة من بياض.

إضافة إلى العيش في هذا الجو المداري الرطب الشبيه بالاستوائي الذي ترسل الشمس إليه مقادير كبيرة من الأشعة فوق البنفسجية التي تضر الجلد إلا إذا تكونت فيه مادة سوداء تقاوم عمل هذه الأشعة.

القمامة في موضع الرصيف في شارع أحد الأحياء الفقيرة في سانتو دومنقو

وهـذا والله أعلـم مـن أهم أسباب السواد، ويدل على ذلك أن سكان خط الاسـتواء وما قرب منه هم من السود وأن سكان من يكونون بعيدين عنه بيض، وليس من المعقول ولا من الممكن أن يكون السكان في الموضعين كلهم من جد واحـد أسود بالنسبة إلى سكان خط الاستواء، وأبيض بالنسبة إلى سكان المناطق البعـيدة عـنه، لأن امتزاج الناس بعضهم ببعض وتجاورهم أو الهجرة من بلد آخـر هـو أمر حادث منذ قديم الزمان ولا يزال يحدث حتى الآن، بل إنه الآن أكثر حدوثاً بسبب سهولة المواصلات وسرعة وسائل السفر.

وقـد يقول قائل: ما بالنا نرى رجلاً إفريقياً يهاجر إلى أوروبا أو غيرها من البلاد الشمالية فيظل لونه كذلك من دون تغيير، بل يظل لون أولاده من بعد كذلك وبالعكس.

فنقول: إن ذلك الإفريقي قد اكتسب لونه منذ مئات السنين عن طريق ما ورثـــه مـــنه مـــن آبائه وأجداده، فإذا بقي في البلاد الشمالية دون أن يختلط ببيضـــاءَ عن طريق الزواج أو نحوه فإنه يحتاج إلى فترة زمنية طويلة ربما تكـــون كالتي قضاها آباؤه وأجداده في إفريقية أو أكثر من ذلك حتى يصبح لونه أبيض.

أمـــا بالنســـبة للأبيض إذا عاش في بلاد السود لفترة فإننا نرى أثر ذلك عليه سمرة خفيفة أو ظلاً من سواد أبعد عنه إشراق البياض، وإذا ولد له ولد فإنـــه يكـــون أقل منه بياضاً بكثير، وما أسرع أن يتلاشى بياضه فيدخل في زمرة السود أو الرماديين.

ولدينا على ذلك شاهد من حالة العرب العمانيين المقيمين في شرق إفريقية فـــي ساحل ممباسة (منبسة) أو زنجبار، أو ما قرب منها وأكثرهم وأقدمهم إقامة هـــناك هم العمانيون، فقد وجدت بعضهم قد اسود لونهم بالفعل، ولما سألتهم عن ذلـــك أخبروني أن ذلك لكون آبائهم وأجدادهم كانوا في هذه البلاد الإفريقية منذ ثلاثمائـــة ســـنة، مـــع أنه ليس في أمهاتهم من هي سوداء، وأن أبناء عمومتهم الموجودين في عمان لا يزالون على لونهم العربي المعهود.

اللهم إلا فيما يتعلق بالجنس الصيني وما ألحق به من الأجناس الأخرى مثل الجنس الملايوي الذي يشمل أهل ماليزيا وأهل جمهورية إندونيسيا، فإن ذلك الجنس من الناس لديهم مناعة طبيعية في أجسامهم ضد الاسوداد، وأقرب مـــثال على ذلك حالة الملايويين الذين يعيشون الآن في مدغشقر وقد هاجر إليها آباؤهم منذ قرون عديدة قبل أن يدخل الإسلام إلى بلادهم وما زالت فيهم بقية من بياض لم يجهز عليه جو إفريقية ولا شمسها.

وربمـــا يفســـر ذلـــك ما نراه من عدم السواد في ألوان الجنس الصيني والملايوي الذي يعيش تحت خط الاستواء في القارة الآسيوية دون غيره من سكنة خط الاستواء كالإفريقيين وسكان جزر المحيط الهادئ الاستوائية فإنهم كلهم من السود، والله أعلم.

علـــى أنـــه ورد تعلـــيل لســـواد الأسود من الناس وبياض الأبيض منهم في الحديث ونصه: (إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بـــنو آدم علـــى قـــدر الأرض، جـــاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيِّب وبين ذلك).. رواه الإمام أحمد وغيره.

وهـــذا والله أعلـــم محمول على المعنى لأنه جاء فيه ما هو غير متعلق بالألوان مثل السهل والحزن والخبيث والطيب.

ونعـــود إلـــى الحديث عن سكان مدينة (سانتو دمنقو) فنقول: إن مرآهم وحركاتهم وتعاملهم مع الآخرين كل ذلك يوحي بالاطمئنان إليهم وأنهم شعب ودود بعـــيد عـــن الجريمة، وقد سألت الإخوة المسلمين عن ذلك فذكروا أنه صـــحيح، وأن الشـــعب طيـــب على وجه العموم حسب تعبيرهم، وسمح ولا يضايق الغريب وبخاصة من يكونون من البيض، أومن غير السود.

هـــذا إلـــى كـــون مظاهرهم وملابسهم تدل على العوز ورقة الحال، وحالة مدينـــتهم لا بأس بها إلا في بعض المظاهر غير المستساغة مثل حرق القمامة في بعـــض الشوارع والميادين غير الرئيسية بدلاً من إبعادها وحرقها أو معالجتها في مكـــان بعيد، وحتى الأسعار عندهم فإنها رخيصة، والأجنبي الذي يملك رأس مال جيداً، ويعمل عملاً جاداً لا يلبث أن يستفيد وتحسن حاله المالية.

وتكـــثر الإشـــارات الضوئية في المدينة وفي كثير من الأحيان لا يوجد

عـــندها شـــرطي واحـــد من رجال المرور، ومع ذلك ينساب المرور عندهم بســـهولة ويـــتعاملون فـــي هذا الأمر بخلق رفيع، هذا ما اعتقده وتأكدت من صحته من الإخوة المسلمين.

طلاب من سكان سانتو دومنقو تجمعوا حول المؤلف وطلبوا أخذ صورة معه

هـــذا وقد أدركنا وقت الغداء إذ بلغت الساعة الثانية عشرة، وكنت قلت لأهـــل الفـــندق أن يبحثوا لي عن غرفة مضيئة عالية فوعدوني بذلك،ولكنهم ذكـــروا أنهم لم يتمكنوا، فنصحني الإخوة بترك هذا الفندق فندق (هسبنيولا) إلى فندق يعرفونه، وذكروا أنه أجود من هذا وأرخص منه.

ومـــن المـــنغص فـــيه أنني عندما أردت الخروج سألوني عما إذا كنت أخذت من الثلاجة التي في الغرفة شيئاً من الشراب، فأخبرتهم بالواقع أنني لم آخذ منها شيئاً.

وعندما خرجت مع الإخوة ووضعوا حقيبتي في السيارة لحق بنا فراش يعدو، وقال: القوم يريدونكم، فذهب إليهم الأخ سعد طه لأنه يعرف الإسبانية نتيجة لإقامته في هذه البلاد للدراسة مدة أربع سنوات، وإن كانت الدراسة نفسها بالإنكليزية.

وقد ذكروا له أن الفراش يقول: إنني أخذت من الثلاجة زجاجة كوكاكولا واحدة، فسألت الفراش الذي قال ذلك فارتبك، وعرفوا عدم صدقه، وأعطيتهم قيمتها بمثابة الحلوان (البقشيش) لتفاهتها.

جولة ثانية في مدينة سانتو دومنقو:

بدأت هذه الجولة في الرابعة والنصف عصراً مع الأخ سعد عبدالله طه وعلى سيارته المعهودة، وكان حدثني عن كونه لا يبالي بمظهرها لأنه سوف يسافر ويتركها، إذ أنهى دراسته في الطب، وقد حاول أن يذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية فامتنعت القنصلية الأمريكية هنا عن إعطائه سمة دخول حتى ولا سمة مرور، وقد ذكر أنه سيسافر بعد عشرة أيام إلى إحدى جزر المحيط الهادئ التي يعمل فيها أخ له طبيب حصل له على إذن القدوم للجزيرة والعمل بها.

وكان حدثني عن نفسه أنه سوري من إحدى قرى الرقة في سوريا وأن أباه وأسرته تقيم في الرقة حالياً وأنهم من أصل كردي، ولما سألته عما إذا كان يعرف اللغة الكردية استنكر ذلك وقال: جدي لا يعرف الكردية ولا يعرف إلا العربية وما في أسرتنا من يعرف اللغة الكردية، قال: ولذلك عندما جاء بعض أبناء عمومتنا إلى والدي، وقالوا له: نحن أكراد نريد كذا وكذا تبرأ منه وقال: نحن صرنا عرباً ولا نريد أن نعود أكراداً.

ميدان الاستقلال:

كانـــت أولى الوقفات في هذا الجولة في ميدان يسمى (ميدان الاستقلال) علـــيه مجمعـــات حكومـــية مـــنها وزارة الزراعة، ويصعد إلى هذا الميدان بدرجـــات قلـــيلة لأنه مرتفع قليلاً عن الشارع، وفيه تمثال لشخص لم نعرف اســـمه، وملصـــقات وصور دعاية انتخابية للعربي الذي رشح نفسه لرئاسة الجمهورية هاكوبو (يعقوب) مخلوطة الذي سبق ذكره.

جامعة أوتيسا:

دخلـــنا جامعـــة أوتيسا وهي الجامعة التي درس فيها الأخ سعد وتخرج فـــيها، وقد منعه البوابون حتى أبرز لهم بطاقة الانتساب للجامعة فسمحوا له بالدخول بسيارته.

صورة تذكارية مع الأخ سعد طه في حديقة جامعة أوتيسا في سانتو دومنقو

واسمها (اوتيسا) هو اختصار لاسمها الكامل (جامعة التكنولوجيا لسانت ياقو)، و(سانت ياقو) مدينة في الدومنيكان فيها مقر هذه الجامعة ولها فرع في العاصمة (سانتو دومنقو) هو هذا الذي ندخله الآن.

وذكر الأخ سعد بهذه المناسبة أن عندهم في جمهورية الدومنيكان ١٥ جامعة أربع منها لغة الدراسة فيها هي الإنكليزية وسائرها بالإسبانية لغة البلاد الرسمية.

وذكر أن طلاب جامعة أوتيسا هذه ٤ آلاف طالب منهم ٢٠٠ طالب فقط من الأجانب وسائرهم من أهل البلاد.

قال: وقد تخرج معي هذا العام من الجامعة ٧٤٥ شخصاً، وذكر أن رسوم الدراسة فيها للسنوات الأربع هي (٥١٠٠) دولار أمريكي.

قال: وفي هذه الجامعة ١٥٠ مسلماً من باكستان وجنوب إفريقيا والبلدان العربية وإيران، وأغلب الطلاب فيها هم من السود ولا يوجد تعصب منهم ولا من غيرهم هنا ضد العرب والمسلمين، بل إن هذه البلاد بلاد متفتحة.

قال: ولا يوجد قانون في الجامعة يمنع شيئاً إلا الخمر وشرب الجعة (البيرة) في الفصل، وذكر أن فيها ملاعب غير أنه ليس لها مساكن للطلبة.

وسألته عما إذا كانت تدرس الموضوعات الإسلامية فنفى ذلك، وقال: لا توجد فيها دراسات إسلامية ولا عربية.

ورأيت فيها قاعة على هيئة خيمة ذكر أنهم صلوا فيها العيد الماضي سمحت لهم الجامعة بذلك دون أجر، وحضر الصلاة فيها (٣٥٠) مصلياً من المسلمين.

وقد رأيت على الحائط الخارجي لهذه القاعة ورقة بالأوردية تبين أوقات الصلاة الخمس وهذه تدل بلا شك على الوجود الإسلامي في هذه الجامعة،

والغرض من هذه الورقة أو الإعلان هو دعوة الطلاب المسلمين إلى حضور الصلاة جماعة في الجامعة.

ولا شـــك أن منظر الجامعة أقل مما سمعته عنها، ولكن هكذا كثير من الناس لا يبالون بالمظهر مع أن مظهرها لا بأس به بالنسبة إلى مظهر الأبنية فـــي هذه البلاد فهي واسعة، وفيها أبنية جيدة متميزة وكلها مشجرة ومتسعة وبعض أنحائها مزهرة أي غرست فيها الزهور.

وزارة الدفاع:

تقـــع جامعة (أوتيسا) في حي جيد شوارعه متوسطة السعة ولكنها أوسع شـــوارع من جميع مدن جزر الكاريبي التي مررت بها قبلها، والسعة النسبية هي طابع الشوارع في مدينة (سانتو دومنقو) هذه.

وعدمـــا خرجنا منها سلكنا شارعاً أفضى بنا بعد ذلك إلى وزارة الدفاع، وتقـــع فـــي مبنى متواضع لا ترضى إدارة صغيرة من إدارات وزارة الدفاع عندنا أن تكون فيه.

وبهذه المناسبة حدثنا الإخوة أن جيش جمهورية الدومنيكان هذه لا يتعدى عددهـــم ٢٥ ألف جندي، وذلك لكونها لا توجد بينها وبين جيرانها مشكلات، بل ليس لها أي جار ملاصق إلا جمهورية هايتي التي ليس لها مشكلات معها في الوقت الحاضر.

كنا في الجنوب الغربي من المدينة فذهبنا إلى شرق المدينة لزيارة أماكن فـــيه لم نزرها من قبل فسلكنا شوارع رئيسية لا بأس بها وهي جيدة بالنسبة إلى شوارع البلدان غير الغنية.

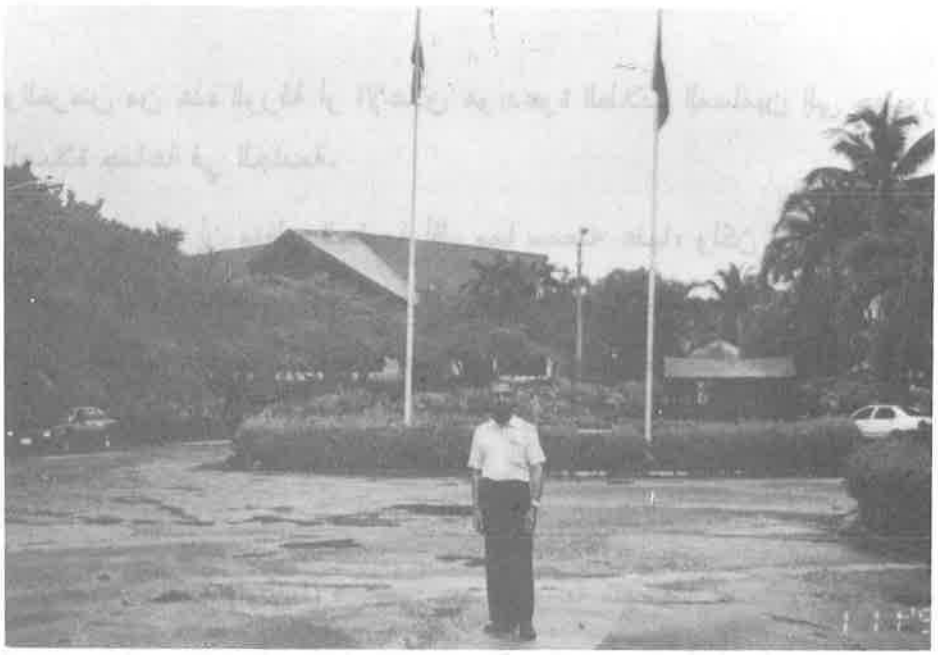

المؤلف في حديقة سانتو دومنقو

وقد سرنا مع الشارع المشهور الذي تقدم ذكره وهو شارع ٢٧ فبراير، وقد كثر باعة الجرائد الذي كانوا يتجولون فيها بين السيارات الواقفة، ويلوحون بها للسيارات السائرة.

ومع أن بلادهم صغيرة وليست بغنية فإن فيها سبع جرائد رئيسية، كلها بالإسبانية لغتهم ولغة أمريكا الوسطى والجنوبية كلها ما عدا البرازيل التي تتكلم البرتغالية.

وقد وجدت زحاماً في السيارات فأخبرني الأخ سعد أن ذلك لمناسبة خروج موظفي الشركات من أعمالهم إلى بيوتهم، فالشركات تبدأ العمل في العادة من الساعة ٨ إلى الساعة ١٢ وتنتهي الفترة الأولى عند الساعة ١٢ ويعودون للعمل مرة أخرى من الثانية ٢ حتى السادسة.

أما الدوائر والمكاتب الحكومية فإن عملها يبدأ – كما هو معلن– من

الثامنة حتى الثالثة بعد الظهر أي لمدة سبع ساعات، ولكن كثيرين من الموظفين لا يزاولون أعمالهم اليومية إلا بعد ذلك، ولا يضمن المراجع أن يجد الموظفين في مكاتبهم إلا بعد التاسعة.

شارع الصحة:

وصلنا إلى شارع اسمه (ميرا دور) بمعنى شارع المنظر العام، ويسمى أيضاً شارع الصحة، عليه حديقة مستطيلة من جانبيه وهي حديقة طبيعية تعتبر أكبر حديقة في المدينة وهو طويل يبلغ طوله ١١ كيلومتراً، ويلقبه الناس شارع الصحة، وذلك لكونه يغلق عن السيارات في أوقات معينة فيأتي إليه الناس ليمشوا فيه ابتغاء الرياضة وصحة الجسم، ولذلك عرف بشارع الصحة، وذكروا أن الناس يأتون إليه من كبار وصغار يسيرون فيه حتى رئيس الجمهورية الحالي واسمه (خوان كين بلاقير) اعتاد أن يأتي إليه في الساعة الرابعة عصراً مع مرافقيه، فيسيرون كلهم فيه على أقدامهم.

المؤلف في شارع (ميرا دور) أو شارع الصحة في سانتو دومنقو

وما يجدر ذكره بالنسبة إلى هذا الرئيس أنه قد مضت له في الحكم قرابة عشـــر ســـنوات وأنه عمي وهو في الحكم من مدة قصيرة، ولذلك لن يرشح نفسه وهو أعمى، وهو ليس أسود، ولكنه حنطي اللون.

والشـــارع جمـــيل المنظر حقاً إذ بطن الشارع مزفت زفلتة جيدة، وترفرف على جانبيه هذه الحديقة الممتدة التي تقع على شاطئ البحر، حيث يقع البحر عنها جـــنوباً، وتقـــع أحياء لمساكن الأغنياء عنها شمالاً، وتجاور أحياء الأغنياء أحياء للفقراء من جهة الشرق، وسوف نزور حيّاً من أحياء الفقراء تلك فيما بعد.

وقـــد قـــرأت اســـمه على لافتة بالإسبانية (افيندا سالود) أي شارع الصحة، وافيندا هو الشارع الكبير، أو الذي عليه المتاجر وهي تشابه (أفنيو) بالإنكليزية.

وصـــادف وجـــودي فيه وجود تلاميذ مدرسة أظنهم جاءوا للمشي فيه، والشيء اللافت للنظر أن هذه الحديقة كلها لا تسقى ولا تحتاج للسقي، وإنما تشـــرب من ماء المطر، وفي جانبي الشارع أرقام تبين الأرقام التي يقطعها الســـائر علـــى قدمـــيه والرقم موضوع على ما يشبه النصب الصغير، وهي شـــاملة للمســـافة مـــن ٢ كـــيلو إلى ١٢ كيلو، فإذا أزمعت أن تسير خمسة كيلومترات مثلاً ما عليك إلاّ أن تعرف الرقم الذي بدأت منه، وانظر إلى هذه الأرقام المثبتة في الشارع لتعرف كم سرت من كيلومتر.

وقد تزايد عدد الطلاب الذين جاءوا للمشي في هذا الشارع فالتقطت مع طائفة منهم مختلطة ما بين بنين وبنات صورة.

حي ثمانية ونصف:

تركـنا (شـارع الصحة) الذي يجاور أحياء الأغنياء من جهة الجنوب، وسرنا شرقاً مع شارع الشاطئ فرأيت أعداداً من الطلاب أظنهم خارجين من مدارسهم يشيرون إلى السيارات يطلبون منها أن تركبهم.

فوصلنا حياً للفقراء اسمه حي ٨,٥ ذكروا أن سبب تسميته بهذا الرقم أنه يبعد ثمانية كيلات ونصف عن قلب المدينة الذي يحتله شارع ادوارته (افنيدا دوارته) الذي كان سبب عدم معرفتي باسمه الصحيح ذلك التعب الذي عانيته قبل الوصول إلى الاجتماع بالإخوة المسلمين في المدينة.

المؤلف يحمل طفلاً في أحد بيوت حي الفقراء في سانتو دومنقو وأهله يضحكون متعجبين

يقـــع الحـــي فـــي مكان منخفض عن شارع الشاطئ وعما حوله ولذلك يرى المرء سقوف المنازل التي هي من الصفيح تكاد تساوي مستوى شارع الشاطئ.

أوقفـــنا الســـيارة ونزلـــنا إليه مع منزلق ليس فيه درج، فوجدت نسوة من ذوات اللـــون الرمادي إلا أن تقاسيم وجوههن ليس تقاسيم نساء الزنوج مما يدل علـــى أن هذا السواد الحالك فيهن ليست أصيلاً، وأخبرهن الأخ سعد بأنني سائح عربـــي أريد أن ألتقط للحي صورة تذكارية، وإذا سمحن فإنني ألتقط لهن أيضاً صـــورة فسارعن بالموافقة مع الابتسام إلا واحدة شابة قالت: كيف أتصور وأنا لـــيس معـــي مشـــط امشط به رأسي مع أن شعرها ليس كثيفاً، فاكتفينا بالتقاط صـــورة للمنزل ولهن، ورأيت معهن طفلاً اسود فاحتضنته ورفعته بيدي والتقط الأخ ســـعد صـــورة له وهـــو علي يدي يبكي يحاول الإفلات، والنسوة سعيدات بهـــذا المـــنظر الذي جاء لهن من غير قصد، وربما كن لا يجدن من يبالي حتى بالحديث معهن، وأعطيت الطفل بعد ذلك ورقة نقدية من عملتهم سر لها أهله.

ثم جاء رجل منهم فشاركنا الوقوف ورأيته يطمع في أن نلتقط له صورة أيضاً إلا أن مكانه ليس ملائماً للتصوير.

وهـــذا المشـــهد شـــاهد أيضاً على سماحة القوم ولين أخلاقهم، وحدثني الإخـــوة العـــرب المقيمون في البلاد أن هذه الطبيعية السمحة موجودة فيهم رجـــالاً ونساءً، وهي أصيلة لا متكلفة، وزادوا على ذلك قولهم: إنهم يحبون العـــرب، ويقدرونهم وتستوي في ذلك عامة الناس والخاصة منهم، ولعل من أول الدلائـــل على ذلك أن المرشحين لرئاسة الجمهورية فيهم اثنان من أصل عربي هما: (مخلوطة) اللبناني و(ابونار) الفلسطيني.

المؤلف في حي الفقراء ٥ و٨ في سانتو دومنقو

ثـم دخلت قليلاً إلى الحي فوجدت أن بيوته مبنية بلبن الأسمنت ومسقفة بالصفيح، وأكثر المناظر في طرقه وأزقته الضيقة أطفال سود يمشون عراة، وكأنمـا أنـت في إفريقية لولا أن السواد في بعضهم غير حالك وأن تقاسيم وجوههم ليست كلها تقاسيم وجوه الإفريقيين.

ورأيت كومة من القمامة بجانب الحي لا تجد من يحملها فيبعدها عنه مع البطالة المتمثلة في وجود أعداد من الشبان بلا عمل في الشوارع والميادين، وإن لم يكن ذلك ظاهرة متميزة عن غيرها من جزر الكاريبي.

لقد ذكرت بيتاً لأحد الشعراء العرب القدماء يذم فيه أهل قرية قرب نجد، فيقول:

وقد سميت باسم أمريء القيس قرية كـــرام غوانـــيها، لـــئام رجالهـــا

وذلـــك عـــندما رحبت بنا النساء، وكان موقف الرجل الساكن في الحي سلبياً تقريباً فهو لم يكرمنا ولم تبدر منه بادرة تدل على الإهانة، ولكننا سألناه عن بعض الأشياء في الحي وطلبنا منه معلومات عنه، فلم يستجب لذلك، وأما النســـاء فإننـــي اعـــتقد أن الذي جرأهن على الترحيب بنا هو كثرة عددهن، والنســـاء إذا كن مجتمعات في العادة كانت لديهن جرأة في الحديث مع من لا يعرفنه أكثر مما إذا كن متفرقات.

شارع الاستقلال:

سلكنا بعد ذلك شارعاً يسمونه شارع الاستقلال (اندبندسيا) وهو رغم ما يوحي به اسمه ليس واسعاً ولا فاخراً، حتى إن الزفت في أرضه خشن سيئ الصـــنعة، ومع ذلك فإنه أحسن من الزفت في شوارع مناطق زرتها في هذا العـــالم وهي مناطق متباعدة أولها: مناطق في جنوب روسيا وفي جمهورية جورجيا، وكلها أردأ من هذه الشوارع الرديئة هنا، وثانيها مناطق في البحر الكاريبي التي زرتها هذه المرة قبل زيارة جمهورية الدومنيكان هذه.

منطقة فيريا:

لـــم نقـــف في شارع الاستقلال وإنما واصلنا السير حتى وصلنا منطقة قـــرب البحر أيضاً لأن المدينة ممتدة على شاطئ البحر، وهذه المنطقة جيدة المبانـــي رأيت فيها مبنى كبيراً محترقاً ومتروكاً على حاله ذكروا أنه كانت تحـــتله شـــركة أو قالوا: إدارة مهمة فاحترق وزعم الناس أنه قد حرق عمداً

حتى تختفي أدلة فيه تدين بعض ذوي النفوذ، وكان ذلك قبل ٣ سنين ولكنهم لم يصلحوا المبنى حتى الآن.

وفـــي الحديث عن امتداد هذا الطريق الذي يقع على شاطئ البحر ذكروا أنه يدور على شواطئ البلاد كلها، وقال أحدهم: إنه أيضاً يدور على شواطئ جزيرة (هسبنيولا) كلها ما كان منها تابعاً لجمهورية الدومنيكان وما كان تابعاً لجارتها (هايتي).

السوق القديم:

ذهبـــنا لســـوق قديـــم اسمه (كوندي) وهو مخصص للمشاة ومغلق عن الســـيارات ويقـــع فـــي الجزء القديم من المدينة القديمة الخارجة عن المدينة الاستعمارية، و في هذا الحي أبنية قديمة منها كنيسة تاريخية وأكثر بيوته من طابقين وشوارعه ضيقة بحيث لا تتسع إلا لمرور سيارة واحدة.

الشارع التجاري في سانتو دومنقو القديمة واسمه كوندي وهو مغلق عن السيارات

وبجانب السوق الرئيسي القديم قسم من المدينة أحدث منه مزدحم بالسيارات والمشاة، ومنه انتقلنا إلي:

حي سان توما:

وفيه منطقة تجارية واسعة الشوارع نسبياً، وأكثره ليس له طراز معين في البناء، ولكن أرصفته لا بأس بها، وشوارعه مزفلتة كلها، إلا أن النظافة فيه ليست على ما يرام ففيه نفايات كثيرة متروكة، وربما كان ذلك بسبب كوننا في آخر النهار حيث يجمع عمال القمامة النفايات ويبعدونها في الليل.

موديلو مركادو:

ومركادو: هو السوق وهي الكلمة نفسها التي أخذتها الإنكليزية من اللاتينية، وتنطق فيها (ماركت) وموديلو أنموذجي أو متميز.

وهذا سوق أنشأته البلدية في عام ١٩٤٢م كما كتبوا ذلك على مدخله، وهو سوق تحف وأشياء قديمة وأشياء مما يهتم به السياح من مصنوعات وطنية، ومنها قلائد وفرش من القش وسجاد صغير مصنوع بالأيدي وتماثيل متعددة وأقنعة مما كان السكان الأصلاء في البلاد وهم المسمون بالهنود الأمريكيين يعرفونه.

وهذا السوق عجيب الشكل لأنه موضوع على هيئة المكتبة الكبيرة التي فيها رفوف الكتب موضوعة صفوفاً تؤخذ من الأمام والخلف، والسلع هنا التي هي تحف وما أشبهها موضوعة في رفوف في هذا السوق كل تاجر له مكان صغير أو كبير فيه، وهو مزدحم جداً بالناس وبخاصة من السياح، ورأيت بعض الباعة ينادون على بضائعهم يلفتون الأنظار إليها مع أن السوق ضيق ويدخل إليه مع باب خاص.

والتقطت صورة تذكارية داخل هذا السوق ثم خرجنا منه للزحام والضجة فيه، ولشيء آخر وهو أننا ما أن ننظر إلى أي شيء من السلع المعروضة فيه حتى ينبري البائع بذكر ما يبيعه به، وشرح مزاياه، ولا يكاد يدع فرصة للشخص أن يتفرج برؤيته، أو يعرف بنفسه ما يريده عنه.

خرجنا منه إلى سوق صغيرة أشبه بمظلات قصيرة ليس لها حيطان وهو خاص بباعة الزهور، ولم أر في زهورهم ما هو غريب أو يستحق التنويه به.

سوق الخضرات:

ويقع ملاصقاً لسوق السياح (موديلو مركادو) وسوق الزهور، وأتينا إليه وقد تقلص الباعة والمشترون فيه لقرب غروب الشمس وإن كانت الخضرات والفاكهة لا تزال موجودة فيه.

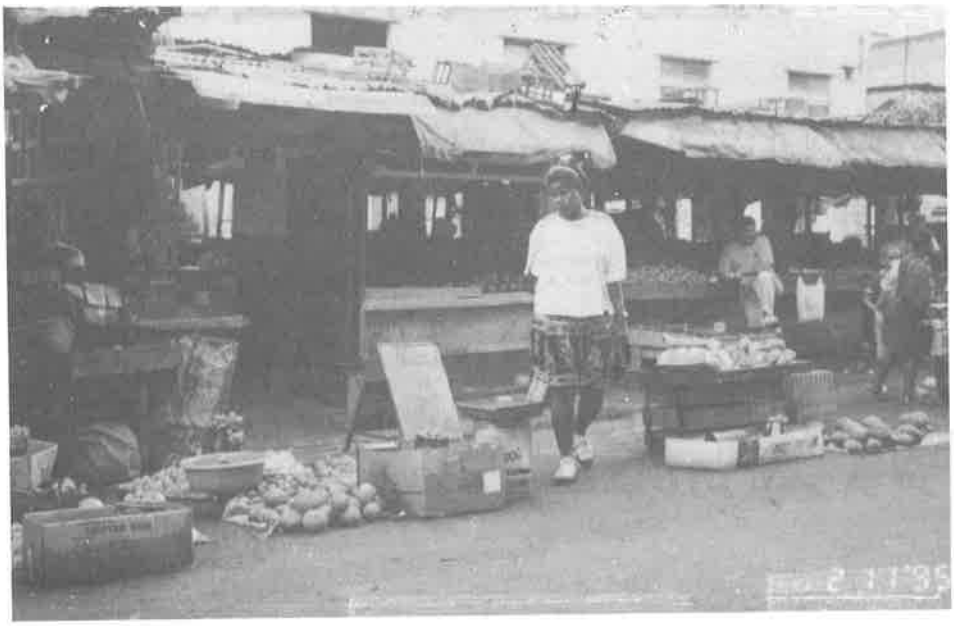

سوق الفواكه والخضرات في سانتو دومنقو

وأهـم مـا فيه من الفاكهة هو الموز بأنواعه الأصفر الذي نعرفه وهو يؤكل طازجاً، والأخضر الذي يطبخ طبخاً، ولا يصلح للأكل نيئاً، ونوع آخر موجـود فـي أكثر البلدان الاستوائية، ولكنه لا يصبر على التصدير لذلك لا يوجـد فـي بلادنـا وهو القصير الأصابع الصغير الحجم المكتنز وهو لذيذ الطعـم، أكثر ليناً من الموز المعتاد، ويبيعونه غالي الثمن بالنسبة إلى النوع المعـتاد، ويسـمى فـي بعض البلاد بالسكري لطعمه الحلو، وهناك برتقال اسـتوائي أو هـو برتقال البلاد المدارية الحارة وهو أخضر الجلدة لا يصفرُّ أبـداً، كما أنه يتميز بصلابة قشره، وصعوبة تقشيره باليد، وطعمه دون طعم البرتقال الذي ينمو في البلدان المعتدلة مثل لبنان.

ومزيته أنه صالح للعصر لأن فيه ماء كثيراً، ولذلك رأيتهم في أكثر هذه الـبلاد المداريـة يعصـرونه ولا يسـتعملون شـراب البرتقال إلا طازجاً يستخرجونه منه.

ومـن أجـل صعوبة تقشيره رأيت بعضهم يبيعونه مقشراً، إذ يقشرونه بسـكين عندهم، ولكن تقشيره يعرضه للذباب والغبار، ولم أر أحداً يبيعه في هذا السوق مقشراً، وإنما رأيته في مكان آخر.

وهناك الباباي فاكهة البلاد الحارة وهو هنا أنواع وذو ألوان متعددة منها الأخضـر، وهو اللون المشهور المعروف للباباي وهناك باباي أصفر وآخر أحمـر، وقد رأينا من هذا الأخير كومة عند أحد الباعة وذو الأحمر هو أندر أنواع الباباي المعروفة.

شارع مزدحم بالسيارات والمارة من الجزء القديم في سانتو دومنقو

و(الداشـــين) وهـــو ثمار تكون في الأرض كالعروق وتنمو داخل التربة كما ينمو البطاطس يزرع في هذه البلاد وفي منطقة البحر الكاريبي ويستعمله الـــناس لمـــا يستعمل له البطاطس، فيأكلونه مسلوقاً ومقلياً، وطعمه فيه شبه بالبطاطس لولا أن في طعمه حلاوة قليلة ليست في البطاطس، وقد أكلته في جزر البحر الكاريبي مسلوقاً يأتون به في المطاعم الراقية مع شواء لحم البقر ومع السمك المقلي، ولا أعرفه في بلادنا ولا أعرف أنه يستورد إليها.

ومـــن الفواكـــه عندهم اليوسفي أو المندرين، ولكنه أخضر اللون رديء

الـــنوع بالنســـبة لما ينمو منه في بلادنا وكذلك يوجد عندَهم الليمون الصغير المسمى بالبنزهير وهو رخيص.

وفاكهة لم أرها في غير هذا السوق اسمها (كينولا) تشبه البرتقال الحلو الذي كنا نسميه في القديم (اللومي).

وهـــناك ثمـــار الأنانـــاس الطازج وعروق الزنجبيل الرطب، أما الخضرات التي توجـد بكـثرة ورخـــص فـــي بلادنا فإنها عندهم قليلة، وغالية فمثلاً (البامية) رأيتهم يبـــيعونها قليلة نزرة ويبعونها جزافاً لأنه من الصعب عليهم أن يشتروها وزناً لغلائها، وذكـــر بـــائع أنه إذا وجد منها مقادير كثيرة بأنهم يبيعونه بنصف الكيلو وليس بالكيلو، وكذلك الباذنجان يبيعونه أيضاً بالكويمة القليلة وهو أحمر اللون مع أنه الباذنجان الذي نعرفه فيما عدا ذلك لاسيما في طريقة طهيه وأكله.

وحتى البصل عندهم قليل، وغالٍ ويبيعونه أيضاً كويمات قليلة كل كومة مـــن خمســـة رؤوس بخمـــس بيزات، وتساوي أقل قليلاً من نصف دولار، والقياس أن يكون ذلك رخيصاً عندهم لأن بلادهم زراعية والمطر كثير فيها، وهناك النهر الكبير الذي يمر بالمدينة وغيره.

ولـــم أجد شيئاً رخيصاً حقاً في سوق الخضرات والفاكهة هذه إلا الموز بأنواعه فإنه رخيص وكثير كثرة لافتة للنظر.

وقـــد اشـــتريت منهم نوعاً معيناً يعتبرونه فاخراً من الباباي، وهو ثمرة واحدة بحجم يصل وزنه إلى كيلو ونصف تقريباً بخمسة عشر بيزة، ويساوي ذلك دولاراً وربعاً على وجه التقريب.

قبر كولون:

ولعلك تتذكر الآن ما قدمته لك من احتفائهم بقبر كولون الذي ذكروا أنه هـو ابن كريستوفر كولومبس الذي اكتشف هذه البلاد وزرنا القصر المسمى باسمه (الكازاردي كولون) أي قصر كولون.

ذهبنا مع الغروب لرؤية قبره وقد احتفوا به احتفاء ظاهراً فسلكنا شارعاً جيداً من اتجاهين اسمه (شارع مكسيكو) وصعدنا جسراً عالياً من هذا الشارع مقاماً على نهر (اسامه) أو اساما، وقد اكتظ هذا الشارع بالسيارات التي تسير فـيه لكونـه رئيسـياً سريعاً، والجسر مقام على عمد عالية من شاطئ نهر (اساما) أو أسامه.

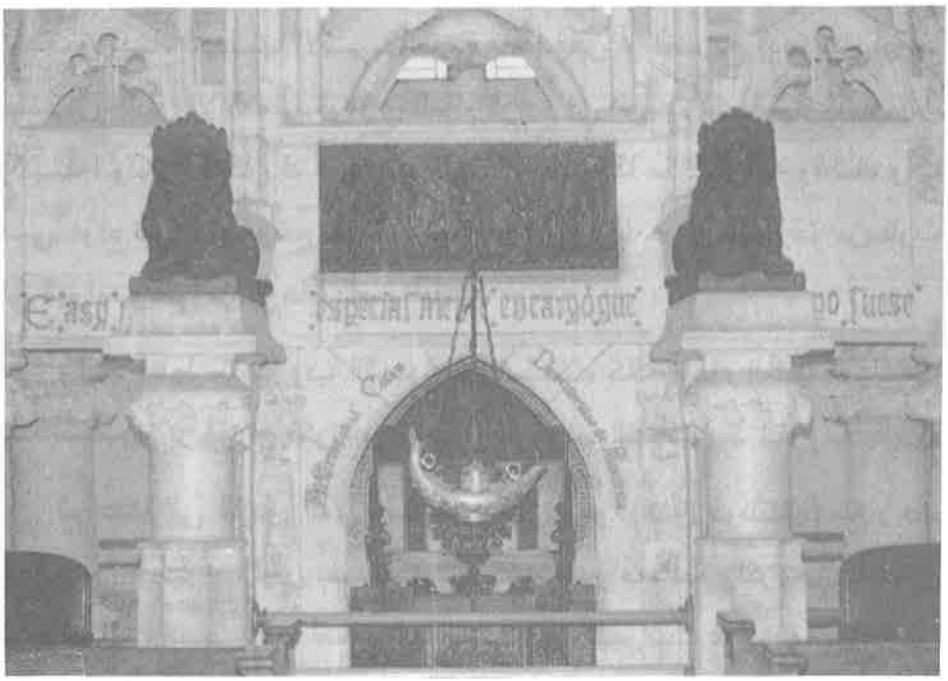

قبر كولون في سانتو دومنقو

ومـــررنا بقاعدة بحرية بجانب الميناء الذي يختلط فيه مياه النهر بمياه البحر ويســـمونها قـــاعدة ٢٧ فـــبراير ثـــم وصـــلنا مع (شارع مكسيكو) إلى قبر ابن كريســـتوفر، وعليه بناء أبيض فخم عالٍ بحيث يبلغ ارتفاعه ارتفاع مبنى من ستة طوابـــق، وقد بنوه على هيئة صليب مع كونهم رسموا أيضاً صليباً على الأرض، وجعلـــوا ما حوله ميداناً محاطاً بساحات خضر محجوزة لا تدخل إليها السيارات، وإنمـــا يدخل إليها المشاة من ممرات خاصة، ولكنهم وسعوا هذا الفناء إلى درجة الإســـراف، وقد رصعوا هذا الفناء الواسع المكشوف بمقاعد للاستراحة، وغرسوا فـــيه أشجاراً لا تزال قصيرة لأنهم فعلوا به هكذا من مدة ليست طويلة، وقد اعتنوا بـــه أكـــثر ممـــا اعتـــنوا بأي مكان آخر في المدينة حسبما رأيته، ما خلا المدينة الاســـتعمارية ذات المباني الأثرية القديمة التي كانت قد اعتنى بها الأولون، وهي تســـتحق ذلـــك لقيمـــتها الأثـــرية، بخلاف هذا القبر أو الضريح الذي ليس فيه ما يســـتحق النظر إلا المعنى الرمزي للمقام الرفيع في نفوسهم لكريستوفر كولومبس ولابـــنه، ولكون المكان قد صار منذ أن اعتنوا به هكذا مكاناً للراحة وقضاء وقت فـــي هواء نقي لأنه مرتفع عن المدينة، وما تنثره فيها حركة السيارات من تلوث في الهواء، وحتى من إزعاج بأصواتها.

وقـــد أعجلـــنا غروب الشمس عن استجلاء كافة أنحاء المنطقة، فاكتفينا بالتقاط صور نرجو أن تكون واضحة رغم كونها التقطت بعد الغروب بقليل.

ثم عدنا إلى الفندق الذي أسكن فيه الآن وهو (فندق كونتنتال) مع زحام بـــالغ من السيارات ليس بسبب كثرتها كثرة غير معتادة، ولكن بسبب ضيق شـــوارعها وانصـــراف أصـــحاب المـــتاجر والحوانيت في هذه الساعة من متاجرهم إلى بيوتهم.

ومن المنظر الغريب الذي رأيته أن شرطة المرور كانت موجودة حتى تساعد على فك الاشتباك الذي حدث بين السيارات بسبب الزحام الشديد، وإذا بأحد السائقين يقطع الإشارة الحمراء والشرطة ينظرون، ولكنهم لا يستطيعون أن يلاحقوه لأن الشوارع كانت مليئة بالسيارات إلا إذا كان معهم وسيلة اتصال لاسلكية، وكانوا انتبهوا لرقم سيارته وضايقنا كثيراً دخان السيارات، وربما كان ذلك لعدم نقاء البنزين عندهم.

مسجد النور:

صليت العشاء هذه اليوم مع الإخوة في مصلى آخر أسموه (مسجد النور) وهو مسجد لأنه محل يقيمون فيه صلاة الجماعة المنتظمة يقع في حي (كالي بدرو أوبيس) بجانب جامعة (أونيبا) وذلك لكون أكثر المصلين فيه هم من طلبة الجامعة الذين يدرسون الطب فيها.

وهو أكبر من مسجد المركز الإسلامي مساحة، إذ يتألف من غرفة واسعة ويتبعه حمام للوضوء ويقع في مبنى يشغل بعضه الطلاب المسلمون الذين حرصوا على ذلك من أجل القرب من المسجد، وقد صلى معنا العشاء ثلاثة صفوف، وفي كل صف ثمانية أشخاص، والحوا عليَّ في أن أومهم في الصلاة ففعلت، وبعد الصلاة ألقيت فيهم كلمة تضمنت الثواب الجزيل للصابر على دينه في بلاد مثل هذه البلاد التي يكون فيها المسلم غريباً في عقيدته، وأوردت الحديث (يأتي على الزمان الصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر له أجر خمسين قال الصحابة: خمسون منا أم منهم؟ قال: بل منكم) أو ما هذا معناه.

فبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الصابر على دينه في ذلك الزمان له أجر خمسين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه كالقابض على الجمر لما يلقى من الأذى والفتن التي منها أيضاً فتنة الشبهات، وفتنة

الشـــهوات، وقلـــت لهـــم: إن بعدكم عن الحواضر الإسلامية، وعن منطلق الإســـلام فـــي مكة المكرمة والمدينة المنورة لا ينقص من أجركم شيئاً، لأن الرســـول صـــلى الله عليه وسلم يقول: صلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) ويروي: فإن تسليمكم يبلغني حيث كنتم.

وقال صلى الله عليه وسلم: ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء.

وقـــد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم المثل بالأندلس للبلاد البعيدة لأن الـــناس في ذلك الوقت لا يعرفون أبعد منها من جهة الغرب، والآن أنتم أبعد منها، وذلك لا يقلل من أجركم، بل إنه يزيده فكل الأرض بلاد الله، قال الله تعـــالى: **(ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله)** وهناك إخوة لكـــم فـــي الإسلام هم يعيشون في بلاد هي أبعد عن منبع الإسلام من بلادكم جهـــة الشـــرق مثل أهل جزر فيجي وأهل مملكة تونقا و(ساموا) في جنوب المحـــيط الهادئ، وفي تلك المنطقة أماكن يكون فيها البعد عن مكة المكرمة سواء من جهة المغرب أو المشرق، لا يختلف البعد عن جهة إلا فيما لا يعد اختلافاً، ولذلك يكون من صلى في تلك المواقع إلى جهة الغرب تكون صلاته صحيحة ومن صلى إلى جهة الشرق تكون صلاته صحيحة لتساوي المسافة إلى الكعبة بين الجهتين، وهنا يتمثل الإنسان قوله تعالى في هذه الآية الكريمة **﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثَّم وجه الله إن الله واسع عليم﴾**.

ومن جهة مادية مبسطة فإن الذي يريد أن يشتري تذكرة للسفر إلى مكة المكرمة يسأله بائع التذكرة أيريد تذكرته من الشرق أم من الغرب لأن قيمتها لا تختلف، فإذا قال: أريدها من الشرق قطعها له مارة باستراليا أو نيوزلندا، ومـــن ثم إلى جنوب شرق آسيا مثل (كوالا لامبور)، وسنغافورة وتايلند، وإن قطعهـــا له مـــن الغـــرب مر بغرب الولايات المتحدة مثل (لوس أنجلوس) ،

و(سان فرانسيسكو) واخترقها من غربها إلى شرقها ومنها يركب إلى أوروبا، ونقلت إليهم تحيات إخوانهم في بلاد الحرمين الشريفين، وبينت لهم الغرض من رحلتي إلى هذه البلاد، وهو التعرف عليهم لأن الله سبحانه وتعالى يقول **﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾** ومن أولويات التعاون التعارف.

ثم أكملنا المجلس معهم في جلسة مذاكرة ذكروا لنا فيها أن هذا المصلى مستأجر، استأجره أحد الإخوة المسلمين من الولايات المتحدة الأمريكية بثلثمائة وخمسة دولارات أمريكية في الشهر دفع لهم أجرة سنة، ولم يمض بعد اتخاذه مسجداً وصلاتهم فيه إلا ٣ أشهر.

فأعطيتهم ألف دولار لمصاريف الكهرباء أو نحوها وأخبرتهم أنه في حالة ما إذا تأخر هذا الأخ المحسن عن دفع الأجرة تمكنهم الكتابة لرابطة العالم الإسلامي وسوف ندفعها لهم إن شاء الله.

وقلت لهم: إنني أرجو أن تضموا جهودكم إلى جهود إخوانكم المسلمين في المركز الإسلامي وغيره وتجتهدوا في شراء أرض تقيمون عليها أول مسجد في هذه البلاد، أو في شراء مبنى لهذا الغرض، وأنا أقدر وضعكم في هذه، وعجز أكثركم عن الحصول على الكفاية لنفقات الدراسة ومصاريف العيش فيها، ولكنكم إذا اجتهدتم وطرقتم الأبواب التي يمكن أن توصل إلى المطلوب يمكن أن تنجحوا كما قال الله تعالى **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾**، ونحن نعدكم باسم رابطة العالم الإسلامي أن نسهم إسهاماً جيداً في هذا الأمر، لكننا وأمثالنا لا نستطيع أن نقدم إسهامنا المالي إلا إذا رأينا الجدَّ في العمل وضمنا أنه سيبقى للمسلمين ويستمر انتفاعهم به، وثم ودعناهم سآئلين الله تعالى أن يقدر الاجتماع بهم مرة أخرى على خير في هذه البلاد وفي مكة المكرمة.

يوم الخميس ١٤١٦/٧/٢هـ- ١٩٩٥/١١/٢م:

مغادرة الدومنيكان:

حضـــر إليَّ في الفندق الأخوان الكريمان نضال أحمد الفلسطيني وسعد طه السوري ومعهما سيارة مستأجرة مع الفجر فصلينا الفجر في غرفتي في الفندق، وغادرناه قبيل السادسة مع شكر أهله على معاملتهم الطيبة وهو فندق كونتنتال الذي كان أرخص من فندق (هسبنيولا) وأحسن خدمة وغرفاً.

شارع الشاطئ يمتد مع امتداد مدينة سانتو دومنقو

وكـــنا نسير في الطريق الذي لا يزال فلول الظلام مخيمة عليه، إلا أنها كانـــت تنهزم أمام جيوش النور التي هزمتها فأبعدته كلية ونحن لا نزال في

الطريق الطويل الذي ذكروا أنه ستون كيلومتراً لا يسرع المرء فيه كثيراً لأن فيه بعض السيارات التي تلوث رائحة دخانها هذا الجو الطبيعي الخالص بين الخضرة والبحر، وهو ممتد بمحاذاة ساحل البحر ويباريه مباشرة أو يبعد عنه قليلاً ثم لا يلبث أن يعود إليه، وذلك منذ أن غادرنا الفندق حتى وصلنا المطار، فدفعنا للسيارة أجرتها (٢٥٠) بيزو ويساوي ذلك ١٨ دولاراً أمريكياً، ولكن الإخوين كانا اشترطا عليه أن ينتظرهما حتى يفرغا من توديعي ليعيدهما إلى منزلهما من دون زيادة في الأجرة.

والمفاجأة أن موظفة الترحيل هي عربية عندما رأت جوازي سعودياً والمرافقين عربيين قالت: أنا عربية مثلكم واسمي (انيسة) ولم يكن الوقت وازدحام الركاب عندها يسمح بأكثر من ذلك، وإلاّ لكنت سألتها عما إذا كانت مسلمة، وعما إذا كان يوجد في البلاد مسلمون عرب من المتجنسين بجنسيتها ومن غيرهم.

ثم ودعني الأخوان الكريمان جزاهما الله خيراً عندما تجاوزت منطقة الجوازات، وكانت ضابطة الجوازات ذات أصل أبيض متغير لم تعرف كيف تتعامل مع جوازي فيما يظهر لأنها لم تر مثله من قبل أو لسبب لا أعرفه، مثلما فعل ضابط الجوازات عند الدخول مع أن عليه سمة دخول (دبلوماسية) من قنصليتهم في سان هوان عاصمة بورتوريكو.

فنادت ضابطاً أكبر منها فقال لي: أنت ذاهب الآن إلى أمريكا لأن معك سمة دخول إليها فأين تذهب بعدها؟ فقلت: إن هذا أمر لم أقرره بعد، كما قال لي أرني تذكرتك بعد أمريكا فقلت: إنني سأتدبر أمر التذكرة هناك، ولم أجبه لأنه يسأل عن أمر ليس من اختصاصه، فختموا جوازي.

وكانت بقيت معي بقية من نقودهم أو من (بيزاتهم) كما كنا نسمي البيزو

في القديم (بيزه) مع أن أصلها عربي فهي كلمة (بسيطة) التي تعني نقداً كان معـــروفاً في الأندلس حرفها الأسبان إلى (بيزيتا) ثم حرفت في خارجها إلى بـــيزو، وهي مستعملة في تسمية عملات بلاد كثيرة من التي تتكلم الإسبانية مـــن أمـــريكا الوسطى إلى آخر القارة جنوباً إلا ما كان من أمر المستعمرة البرتغالـــية، وهـــي البرازيل فإن عملتها لدهر طويل هي الكروزيرو ومعناه الصليبي لأنها منسوبة إلى الصليب الذي يسمى في لغتهم (كروز).

ولـــم أجد مصرفاً أو مكتباً يصرف النقود في داخل القاعة فصرفتها بعد أن وصلت إلى مطار ميامي.

تجمع ركاب رحلتنا عند البوابة، ولكن الموظفين كانوا يترددون ويرتبكون.

من سانتو دومنقو إلى ميامي:

نـــادوا ركاب رحلتنا إلى الدخول للطائرة وقد وضعوا مكتباً قبل البوابة علـــيه فـــتاتان تـــأخذان رسوم مغادرة المطار من الركاب، وقلت للموظفة: جوازي دبلوماسي والعادة الا تأخذوا عليه رسوماً، فقالت لي: أأنت تعمل في هذه البلاد (دبلوماسياً) قلت: لا، فأخذت الرسم ١٥ دولاراً أمريكياً مع أن سمة الدخـــول التـــي علـــى جوازي من قنصلهم (دبلوماسية) ولم أنبهها إلى ذلك استقلالاً للمبلغ ولله الحمد.

وعـــند باب الدخول إلى الطائرة كان هناك رجل وامرأة مهمتها الإطلاع علـــى جـــوازات المسافرين والتأكد مما إذا كانوا يحملون سمات دخول إلى الولايـــات المتحدة الأمريكية مع أن موظفة الحجز في مكتب شركة (أمريكا ايرلايـــن) فـــي المديـــنة قد تأكدت منه، وموظفة الترحيل في المطار كذلك، ولكـــنهم عملوا ذلك من باب الاحتياط لأن الحكومة الأمريكية تغرم الشركات

التـــي تحمـــل إليها ركاباً ليس معهم سمات دخول إليها، إضافة إلى إلزامها بإعادة الراكب من حيث جاء بنفقة الشركة.

دخلـــنا إلـــى طائرة (أمريكان إيرلاين) وهي من طراز ايرباص ومعناها: الحافلة الجوية وفوجئت بأنها تكاد تكون خالية فالركاب لم يشغلوا عُشر مقاعدها ١٠%.

ومـــع ذلك كان هناك إسراف في الإعلانات فمكبر الصوت فيها لا يكاد يفتر، ولغة الإعلان هي الإسبانية والإنكليزية.

أقلعت الطائرة في الثامنة إلا الثلث متأخرة ١٠ دقائق عن الموعد المحدد لإقلاعهـــا في الأصل وهو السابعة والنصف، وهذا لا يعد تأخيراً في عرف شركات الطيران.

ونهضـــت فـــوق جزيرة (هسبنيولا) فاتضح منظر الشاطئ الطويل الذي تقع علـــيه المدينـــة والطـــريق بســـايره قبل المدينة وبعدها والريف الأخضر الكثيف الاخضـــرار، ثـــم ران علـــى الجـــو تحت الطائرة سحاب كثيف حرمنا من رؤية الأرض تحتـــنا مـــع أن الجزيرة غير عريضة، وساحلها الشمالي قريب، وأخذت الطائـــرة الاتجـــاه الصحيح نحو ميامي في الشمال، وقد أسرعت المضيفات، وهي من الأمريكيات البيض المتغيرات لأنهن من أهل الجنوب بالإعداد للضيافة مع أن الركاب ليسوا كثيري العدد، وبعض هؤلاء المضيفات هن في منتصف العمر.

وقدمـــوا طعـــام إفطار جيداً، وقد أخبرت المضيفة ألا تحضر إليَّ شيئاً قـــرب مـــنه خنزير لأنني مسلم، وقد أصبحت المضيفات يعرفن الطعام الذي يأكله المسلمون من غيره، لكثرة الركاب المسلمين في هذه الديار وإن يكونوا قلـــة، إلا أن التعلـــيمات التـــي تتلقاها الشركات العالمية من منظمة الطيران الدولـــية (أياتـــا) توضـــح الطعام الذي يأكله المسلمون بأنه الخالي من لحم

الخـــنزير، وتلـــزم أية شركة بإحضار طعام بديل للمسلم إذا كان طعامها فيه خنزير، وطلب منها الراكب المسلم أن تجهز له طعاماً إسلامياً.

إلاّ أن الشـــيء الـــذي لا يعرفونه أنه حتى لحم الحيوان الذي يحل أكله للمســـلم مـــثل البقر والغنم والدجاج يكون حراماً عليه إذا ذبحه شخص غير كتابـــي كـــأهل الشرق الأقصى من الصينيين واليابانيين لأنهم ليسوا من أهل الكـــتاب الذيـــن تحل ذبيحتهم، وعلى المسلم في هذه الحالة أن يحتاط فيطلب سمكاً أو إربياناً وهو (الروبيان) بلغتنا العامية و(الجمبري) في عامية مصر.

وقـــد أحضرت لي بيضاً مخلوطاً (أملت) وبطاطس مسلوقة، و(كورن فلاك) وهو رقائق خبز الذرة المقطع قطعاً صغيرة، أو هكذا يبدو لرآئيه وآكله.

اســـتمر طيران الطائرة وانجلى الغيم الذي كان تحتنا منذ أن فارقنا جو (هســـبنيولا) ووقعنا في جواء البحر الكاريبي التي كان أكثرها مياهاً ضحلة مما قرب حول الشاطئ، وحول بعض الجزر الصغيرة.

وعجبت لكثرة الأخوار، وهي الخلجان البحرية الداخلة في الأرض، ومن ألسنة اليابسة الداخلة في البحر في هذا البحر العجيب.

ثـــم وصلنا منطقة (ميامي) التي فيها أيضاً خلجان ضيقة والسنة أرضية داخلة في البحر وفي داخل هذه الألسنة مستنقعات أو تجمعات مائية عديدة.

في مطار ميامي:

بـــدت مدينة ميامي ذات ضواح تنطلق فيها الشوارع الواسعة السريعة التـــي تـــدور السيارات عندما تريد الخروج منها مع جسور، وأما الشوارع داخل المدينة فيها فليست مستقيمة رقم كونها ليست ضيقة ولا شك في أن ذلك يرجع إلى كونها قديمة.

والمدينة مع ضواحيها متسعة، بل بالغة الاتساع بحيث صارت الطائرة تطير وهي تتدنى فوقها لفترة ثم تجاوزتها إلى ريف أمريكي تقليدي ليس بالغ الخضرة، ثم انحرفت يميناً عائدة إلى المدينة.

وفي الريف قناة مياه مستقيمة طويلة، وطريق واسع سريع بجانبها، وذلك في أرض ليست جميلة المنظر، حتى تربتها تبدو بيضاء غير ناصعة ورمادية في بعض الأماكن.

وكثر منظر الطرق السريعة (الهاي وي)، وقد انتابني الحزن وأنا ارى هذه الأرض الأمريكية التي وصلت إلى ما وصلت إليه من رقي مادي وتقدم اقتصادي، والأهم من ذلك السيادة على الدول حتى صارت الدولة الأولى في العالم في هذا الأمر، وحتى صارت الدول والجماعات في العالم لا تفكر في شيء مهم تعمله مما يتعلق بشيء خارج حدودها أو حتى داخل حدودها في بعض الأحيان، إلاَّ تفكر في هذه الدولة العظيمة (الولايات المتحدة الأمريكية) فهي التي تخشى وترجى من بين الدول بل فوق كل الدول.

وذلك كله نتيجة لاتحاد أهلها واختيار من يحكمها ومراقبة من يديرون أمورها رقابة محكمة على الأموال والقوانين، بحيث لا يستطيع رئيسها أن يصرف شيئاً في غير محله، ولا يستطيع أن يؤذي شخصاً لا يبيح القانون له أذاه.

ونحن بعكس ذلك شعب واحد فرقته الأهواء الداخلية، وساعدت على ذلك الدول الأجنبية، وتحكمت فيه العنعنات القبلية، والإرادة الفردية، حتى بددت قواه يوم بددته، ثم عادت لتبدد قوى كل جزء منفصم منه إلى قوى متعددة وأحياناً متناحرة، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ولا شك في أن اللوم الأكبر في هذا يقع على شعوبنا التي لم تراقب

بعض حكامها وحتى إذا راقبتهم لم تنكر المنكر وتعلن ذلك، متعللة بأن القهر هـو الذي أسكتها والخوف من الانتقام هو الذي كمم أفواهها، وقد يكون ذلك صـحيحاً ولكنهم لو كانوا صدعوا بالحق جميعاً فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر مجمعين على ذلك لما استطاع أحد أن يفعل فيهم شيئاً لأنه لا يستطيع أن يعاقب الشعب كله، وهو ظاهر.

وقال الله تعالى: **﴿إن الله لا يغـير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال﴾.**

هبطـت الطائـرة في مطار ميامي الضخم في العاشرة و٣٥ دقيقة بعد طـيران اسـتغرق سـاعة و٥٥ دقـيقة، ووقفت في المدرج انتظاراً لمرور طائرتين منه إحداهما نازلة، و الأخرى مقلعة وذلك في كثرة ظاهرة في عدد الطائرات التي تهبط وتقلع من هذا المطار الكبير.

هـذا وقد كنت دخلت إلى ميامي قبل هذه المرة، وسجلت عنها شيئاً في مذكراتـي عـند دخولي إليها أول مرة في عام ١٣٩٧هـ وضممت ذلك في كتاب: (وراء العمل الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية).

دخلنا من الطائرة إلى قاعة صغيرة لم نقف فيها وإنما انتقلنا إلى العربة الكهربائية المعهودة التي نقلتنا إلى قاعات الدخول في المطار.

وكان عند ضباط الجوازات صفوف من الناس والموظفون لا يسرعون فـي ختم الجوازات لأن هذه المنطقة تعتبر منطقة تسلل إلى الولايات المتحدة رغـم التشـديد الـذي من مظاهره ما ذكرته عند الإقلاع من مطار (سانتو دومـنقو) مـن وجـود أشخاص يتأكدون من سمات الدخول على جوازات المسـافرين، وهـنا عند الخروج من باب الطائرة كان هناك شخصان رجل

وامرأة يطلبون الإطلاع على جوازات المسافرين ويتأكدون من وجود سمات الدخول الأمريكية عليها.

وكـــان الذي على مكتب الجوازات امرأة بيضاء سألتني بخشونة قبل أن تـــنظر إلـــى جـــوازي وترى سمة الدخول (الدبلوماسية) التي أعطتني إياها الســـفارة الأمريكية في بلادنا وهي سمة صالحة لمدة سنة ولسفرات متكررة، فقالـــت لـــي: وأنت قادم من الدومنيكان فماذا كنت تعمل فيها؟ قلت: زيارة، فقالت: أين تذهب في أمريكا؟ فقلت: لقد ذكرت في الاستمارة أن عنواني هو السفارة السعودية، فقالت: وماذا تعمل فيها؟ فسكت عن إجابتها لأن هذا ليس من عملها، وكذلك لم أجبها عندما قالت: ما هو عملك في بلدك؟

وهنا كانت وصلت في تفتيشها أوراق الجواز إلى الورقة التي فيها السمة المذكورة فبان الخجل على وجهها وأسرعت تختم الجواز وهي تقول: شكراً.

وكنـــت عهـــدت موظفـــي الجوازات والجمارك في هذه المدينة وفي (لوس أنجلـــوس) مـــن المدن التي يصل إليها بعض مواطني أمريكا الوسطى والجنوبية وأقطـــار الكاريبـــي أن يتعاظموا ويتكبروا على أولئك القوم الذين يأتون من تلك الأقطـــار لأن أغلـــبهم يـــأتون ابتغاء للعمل، أو على الأقل يكونون من غير ذوي اليســـار والمقامات في بلادهم، ولاحظت الفرق بين معاملة الموظفين عندما أكون قادماً من المملكة إلى مطار نيويورك أو واشنطن وبين هذا المطار وأمثاله.

ولـــم أتوقـــف عند ضابط الجمرك من دون أن يطلعوا على جوازي ثم وصـــلت إلى داخل المطار الذي هو طويل واسع متعب بسبب سعته وطوله فرحت أسأل عن مكتب شركة الطيران العالمية تي دبليو أي (T W A) فهي عالمـــية وســـبق أن غيرت تذكرة لي حول العالم وكنت آنذاك في أمريكا من

غـير أن تـرجع إلـى الخطوط السعودية لأنها مثل التذكرة التي معي الآن مفـتوحة قابلـة للتغيـير، وبعد تعب وكنت أجر حقيبتي الكبيرة بيد وأحمل الصغيرة بيد وصلت إلى مكتب الشركة فوجدت فيه امرأة ذكرت أنه لا يوجد لديهـم رحلـة إلى أوروبا أو الشرق الأوسط في هذا اليوم، فطلبت منها أن تحجـز لـي مقعداً على السعودية في أول رحلة فرجعت إلى الحاسب الآلي وقالت: إنهم أغلقوا الدرجة الأولى فلا تقبل أي سؤال مما يدل على أنها مليئة فسـألتها عـن الشـركة التي لها رحلة في هذا اليوم إلى أوروبا، ولتكن إلى بـاريس لأن لدي سمة دخول إلى فرنسا من سفارتها في المملكة لمدة طويلة ولسـفرات مـتعددة، فذكـرت أنه توجد بالفعل رحلة للخطوط الفرنسية هذا المسـاء إلـى باريس ونصحتني بأن أذهب إليهم إلا أنها قالت إن مكتبهم في مكـان بعـيد من هنا ثم نادت موظفاً إفريقي الأصل كالحمال وقالت له أره طريق الخروج لمكتب الخطوط الفرنسية، فقلت للرجل: أهو بعيد؟ قال: نعم، قلـت له: إن هذا صعب علي وأنا معي حقيبتان، فنادى شاباً إفريقي الأصل أيضـاً وأمـره بحمل أمتعتي والذهاب معي وكانت معه عربة يد من ذوات العجـلات الأربع، فحمل أمتعتي وقال: اتبعني وسار في طريق طويل، حتى وصلنا المكتب المنشود وقال إنهم لا يفتحون إلا بعد ساعتين، فقلت للإفريقي: أرنـي مقهـاة قريبة أجلس فيها حتى يحضر أحد منهم، فقال وهو يشير إلى مقهاة قريبة ها هي هنا تستطيع أن تجلس وتشرب خمراً وغيره حتى يفتحوا المكتب، فقلت له: إنني رجل مسلم ولا يمكن أن أشرب الخمر فظهر الاهتمام علـى وجهـه عـندما ذكرت الإسلام، وشد على يدي وهو يقول: المسلمون طيبون، فقلت له: أأنت مسلم؟ فقال: لا، ولكنني قريب من المسلمين.

وكانت قد جرت منذ أيام ليست كثيرة مظاهرة للسود في مدينة واشنطن

سميت مسيرة المليون أسود وقد قادتها أمة الإسلام التي يتزعمها المسلم الإفريقي الأصل لويس فرخان.

وبقيت في المقهاة أشرب الشاي، وأسود أوراقي بما تراه الآن حتى فتحت الفرنسية بابها فأريت تذكرتي لموظفة مسنة أدخلتني مكتباً عليه فتى ما أن رأى تذكرتي حتى فكر وحسب ثم قال: إن تذكرتك هذه رخيصة الثمن لذلك لا أستطيع أن أغيرها لتكون من ميامي إلى باريس ثم جدة، وإنما أقطع لك تذكرة جديدة بـ ٣٧٠٠ دولار، فقلت له: إن التذكرة الجديدة تبتدئ من ميامي وأنا تذكرتي ابتدأت من جدة لذلك لا يكون قطع تذكرة من هنا مناسباً.

فلما أيست منه عزمت على السفر إلى نيويورك لأسافر منها على الطائرة السعودية التي لا أعرف موعد قيامها، وليس لي حجز عليها، وأكثر الشركات هنا رحلات إلى نيويورك هي (أمريكان إيرلاين) ولكن مكاتبها بعيدة وأنا معي حقائبي وبينما كنت أفكر إذا بالشاب الذي أحضرني إلى هنا يقبل معه متاع أناس آخرين فناداني قائلاً: هاي فرند أي مرحباً بصديقي سآتي إليك وكنت أعطيته حلون (بقشيشاً) سره.

ثم حمل متاعي إلى مكاتب شركة (أمريكان إيرلاين) وهي كثيرة متعددة حتى إن مكاتب الدرجة الأولى قد شغلت ركناً كاملاً.

من ميامي إلى نيويورك:

وجدت على مكتب الدرجة الأولى امرأة جميلة، ففرحت بذلك لا لجمالها الذي لو كنت مقيماً عندها لما كان لي منه نصيب، وإنما لكوني تعودت على أن الجميلة من الموظفات تساعدني أكثر من غيرها من الموظفات، فقلت لها:

إننـــي أريد السفر بالدرجة الأولى إلى نيويورك، وليس معي حجز فأسرعت تسأل الحاسب الآلي ثم قالت: إذا كانت معك حقيبة لم تستطع اللحاق بالطائرة لأن الرحلة ستقفل، فقلت لها: أرجوك أن تأخذيها وتجتهدي لي، ثم قالت وهي تســـرع بتسلم الحقيبة قبل أن ترسلها: لم تقل، أي مطار تريد من نيويورك؟ أهو مطار جون كندي أم مطار لقواردیا؟

فقلت لها: إنني ساسافر مع الخطوط السعودية فأرجو أن تنظري من أي المطارات تقوم، ولم أكن بالفعل أعرف المطار الذي ستقلع منه السعودية.

فأســـرعت إلـــى الحاسب الآلي وقطعت تذكرتي وتسلمت حقيبتي وهي تقـــول: ألا يوجـــد عنوان نرسل إليه حقيبتك إن لم تدرك الطائرة؟ فقلت: لا، فقالت لي: أسرع قبل أن يغلقوا البوابة إنها رقم ٥١٢ فأسرعت أعدو فوجدت الركاب كلهم قد دخلوا إلى الطائرة ولكن البوابة لا تزال مفتوحة.

وجـــدت الطائـــرة من طراز دي سي، أ العملاق وفي الدرجة الأولى مقعدان خاليان وهي فسيحة واسعة وقد تأخرت الطائرة فلم تتحرك إلا بعد نحو ربع ساعة من دخولي وهي مدة جعلتني آمل بأن يحملوا فيها حقيبتي إلى الطائرة.

أقلعـــت الطائـــرة مـــن ميامي إلى نيويورك في الثانية والثلث ظهراً، بتوقيت ميامـــي ونـــيويورك الذي يتأخر ساعة واحدة عن الدومنيكان، وأنا مشفق من ألا أدرك الســـعودية لكوني لم أجد من يخبرني عن موعد قيامها بالضبط حتى موظف الخطوط الفرنسية في ميامي اعتذر عن أن يخبرني بذلك ولا أدري السبب.

حلقـــت الطائـــرة العملاقـــة فوق قسم من مدينة ميامي فيه جسور فوقها جسور لتسهيل مرور السيارات، وتجلت مدينة ميامي من الجهة التي طارت منها الطائرة واسعة منظمة.

ثـم تكررت رؤية الألسنة الأرضية، ممتدة من اليابسة إلى داخل المياه، وعلـيها مع ضيقها الأبنية المتعددة الطوابق، منها جزيرة اصطناعية، ثم بدا شاطئ ميامي الشهير بميامي بيتش وهو شاطئ رملي ممتد، وقد سرت عليه عـندما زرت (ميامـي) لأول مـرة، وعجبت من أن تكون له تلك الشهرة العظـيمة مع كونه دون شواطئ البرازيل، وبخاصة شواطئ مدينة (ربودي جانـيرو) مـثل شاطئ كوبا كابانا الذي لا يكاد يماثله شاطئ آخر في العالم، وقلـت: لو قارن الأمريكيون شاطئ ميامي هذا بشاطئ كوبا كابانا البرازيلي وكـانوا منصفين لرأوا أن شاطئ ميامي هذا لا يستحق أن تغسل مياهه ذلك الشاطئ البرازيلي البديع.

ثم لججت الطائرة فوق مياه المحيط الأطلسي مبتعدة عن ميامي وشاطئها.

كانت الطائرة تحلق وركاب الدرجة الأولى كلهم من الأمريكيين ولا شك فـي أن ركـاب الدرجة السياحية فيها أيضاً أكثرهم من الأمريكيين فقلت في نفسـي: إنـه يحـق لهم الفخر بصناعتهم التي صنعت هذه الطائرة العملاقة ومثـيلاتها الكبـيرة التـي صارت تنقل العالم بين بلدانه البعيدة والقريبة من الولايـات المتحدة، ومنها بلادنا، ونحن نفخر بمجرد أن نصون هذه الطائرة ونعرف كيف ندير شئونها وننتفع منها مع أنه ليس لنا في صناعتها يدان.

ونحـن هنا لا نحسد الأمريكيين على ذلك، ولكن نغبطهم على ما وصلوا إليه من الوحدة والانتفاع بالإمكانات المتوفرة التي استعملوها فيما ينفعهم، ويرقى بلادهم.

هـذا والـبحر أزرق المياه في أكثر الأماكن التي نطير فوقها وبعضها أخضر لكون مياهها ضحلة واقعة قرب جزر ومنها جزيرة لا يزال البحر في طور المخاض منها فهي لم تبرز إلى سطحه بعد.

ومـــن الأشـــياء الطيـــبة في هذه الرحلة أن التدخين ممنوع خلالها على طولهـــا النســـبي، وقد أجلت بصري في ركاب الدرجة الأولى فوجدت أنه لا يوجـــد بينهم نحيف وإنما كلهم من غلاظ الأجسام أو ممن يميلون إلى السمن، وذلك لكونهم من أغنياء الأمريكيين.

والضـــيافة صحن فيه سمك معه سلطة وخبيزة، وما طلبته من شراب، وقد حملهم على ذلك كون الوقت ليس وقت وجبة من الوجبات المعتادة.

هـــذا وقـــد وصـــلنا إلـــى منطقة سحاب مطبق متراكم صارت الطائرة تضطرب عند دخولها إليه وتحليقها فيه.

وقـــبل الوصـــول إلـــى نيويورك خف السحاب، وظهر شاطئ المحيط الأطلسي معموراً حتى في الأماكن البعيدة من الشاطئ.

ثـــم حـــل الظلام في الرابعة والنصف، وذلك لكوننا أوغلنا جهة الشمال حيث يقصر النهار في الشتاء كما هو معروف.

ثـــم وصلنا جو نيويورك فصارت الطائرة تحلق وهي تتدنى فوق شاطئ رملي وأرض مليئة بالأخوار وهي الخلجان البحرية الضيقة، وبدت الأشجار صفرا لأن الخريف قد لفح أوراقها ببرده.

في مطار نيويورك:

هبطـــت فـــي مطار جون كندي في نيويورك في الخامسة إلا الثلث بعد طـــيران استمر ساعتين وثلثاً، وأسرعت أسأل فور دخول المطار عن مكتب تحويـــل الرحلات، فذكروا أن هناك حافلة زرقاء تدور على قاعات الترحيل للشركات في المطار وأن السعودية تقوم من مبنى يسمى (مبنى ألتا).

فأسرعت أهبط درجاً إلى الطابق الأرضي من أجل حقيبتي وتوقعت أن تكـون آخـر ما يصل من الحقائب إن وصلت بهذه الطائرة، ولكنني فوجئت بأنهـا كانت أول حقيبة وصلت، فذكرت المثل القديم الذي يقول: (إذا رجعت الغـنم تقدمـت الشاة العرجاء) فقد كانت آخر الحقائب رفعاً في مطار ميامي لذلك صارت أولها نزولاً في هذا المطار.

ثـم ركبت مع الحافلة الزرقاء ولها باب واسع منخفض حتى يسهل على مـن يحمل أمتعة أن يدخلها معه وهو لا يغلق، وكان سائق الحافلة رجلاً من أصـل إفريقي ما أن رآني سألت عن مكتب السعودية إذ قلت له: أرجوك أن تنزلني عند مكتب السعودية حتى بادرني بقوله: السلام عليكم، شكراً، وكانت الحافلة مليئة والوقت أقصر من أن أسأله عن دينه، وإلا لفعلت.

وعـندما وصـلت إلى الخطوط السعودية رأيت المكاتب مفتوحة والموظفين يـزنون أمـتعة الـركاب، فعجبت من هذه المصادفة الجيدة، وأسرعت إلى مكتب الدرجـة الأولـى ولكـن الموظفـة فيه ذكرت أنه لا يوجد عندهم مقعد خالٍ في الأولـى، فأريتها جوازي، وأخبرتها أنني قادم الآن من البحر الكاريبي، وأريد أن أباشـر عملـي في مكتبي السبت، فأخذت جوازي وتذكرتي ودخلت إلى الموظف المسـئول الـذي جـاء إليَّ وأخبرني أن الطائرة مليئة في هذه المرة ولكنه سوف يحاول، فقلت له: إنني أريد أن أطمئن على سفري ولو بالدرجة السياحية.

فقـال: سأجتهد، ولا ينجلي الأمر إلا عند البوابة، ثم أخذ حقيبتي الكبيرة وصـحبني إلـى غرفة الدرجة الأولى، وقال: استرح هنا وسوف أسعى في شأنك، وهو أخ سعودي كريم.

وجـدت فـي غـرفة الدرجـة الأولـى عدداً من السعوديين منهم الأستاذ الطيب

الهـزازي القـائم بأعمـال السـفارة السـعودية في مكسيكو عاصمة المكسيك، وكنت اجتمعـت معه في المكسيك في أول هذا العام وصحبني جزاه الله خيراً طيلة رحلتي في المكسيك فجلسنا نتحدث في قاعة الأولى وقد اطمأننت لكوني أودع حقيبتي الكبيرة لدى مكتب السعودية وجلست في هذه الغرفة المريحة وهي واسعة.

ومـن طريف المصادفة أن السيد الطيب الهزازي مثلي لم يحصل على حجز مؤكد في الدرجة الأولى إلى جدة، وقد قدم مثلي من المكسيك هذا اليوم عن طريق لوس أنجلوس ومعه أخ سعودي من المدينة كان قدم إلى نيويورك مثلنا دون أن يدخلها، وتذكرته بالدرجة الأولى، ولكنه لم يجد مكاناً ويريد أن يسـافر بـأي درجـة، وقال لنا: الحقيقة أنني أريد أن أسافر، وإلا فإنني لن أتضايق لولا الوقت من البقاء حتى الرحلة التالية للسعودية بعد يومين، فابني موجـود في واشنطن العاصمة، ولم أذهب إليه لضيق وقتي وإلا كنت ذهبت إلـيه، وبقيت عنده، فقلت له: وأنا أيضاً ابني خالد موجود في واشنطن الآن ولـولا ضيق الوقت لكنت ذهبت إليه فإن اضطررت قضيت يوماً أو يومين عنده، وسافرت بعد ذلك إلى المملكة.

وقال الطيب الهزازي: وأنا أيضاً ابني موجود في بوسطن فإذا لم يتيسر لي ركوب زرته لمدة يوم أو يومين ثم سافرت.

وهـذه مصـادفة عجيـبة أن يكـون لكل واحد منا ابن مقيم في مدينة أمريكية، ومع ذلك لم نمر بهم لضيق الوقت.

وتمتعت في قاعة الانتظار بقراءة الجرائد السعودية التي لم أرها منذ أن غـادرت المملكـة إلى أقطار البحر الكاريبي قبل نصف شهر أو يزيد، كما كانـت القهوة والشاي وعصير الفاكهة والمآكل الخفيفة معروضة فيها بوفرة،

وقد قدمني السعوديون الموجودون في قاعة الدرجة الأولى وبعضهم لا يعرفني فصليت بهم المغرب والعشاء جمعاً.

وفي الثامنة والنصف جاء إلينا الأخ مدير الخطوط السعودية هنا، وذهب معنا إلى البوابة فرأيت صفاً طويلاً من المنتظرين فيهم ركاب تذاكرهم على الدرجة الأولى وآخرون على درجة الأفق، وعدد يريدون إركابهم على السياحية، ولكنهم لم يجدوا مكاناً في الطائرة مع أنها طائرة كبيرة من طراز ٧٤٧ بوينغ المسماة (جامبو)، ولكن هناك اقبالاً عرفت سببه بعد ذلك، وهو أن (السعودية) أعلنت للهنود والباكستانيين المسلمين أنها تنقلهم إلى القارة الهندية وتوفر لهم التوقف في جدة لأداء العمرة.

إلى جانب تسهيل حصولهم على سمات الدخول للعمرة بالأجرة نفسها التي يسافرون بها من أمريكا عبر أوروبا إلى الهند أو باكستان، لذلك كانت نسبة كبيرة من ركاب الدرجة السياحية فيها هم من ذوي الأصول الهندية.

وكنت قد هاتفت ابني خالد في واشنطن فأخبرني أنه قد حجز مقاعد له ولزوجته وطفليه إلى الرياض في الأسبوع القادم، لأنه لم يستطع الحصول على أية مقاعد في الأسبوع الحالي، مع أن تذاكره وأسرته على الدرجة الأولى، لأنه يشغل مرتبة كبيرة، ويعمل في ممثلية المملكة العربية السعودية لدى البنك الدولي في واشنطن وتذاكره حكومية.

وقد كرم المدير فأعطاني مقعداً في درجة الأفق لأنه استحال عليه أن يجد مكاناً في الدرجة الأولى، فشكرته وأسرعت إلى الطائرة.

ودرجة الأفق تساوي درجة رجال الأعمال التي تعبر عنها بعض الشركات باسم (ببزنس كلاس) وقد يرمز إليها بـ (جي كلاس) وهي في هذه

الطائـــرة العملاقـــة في الطابق الثاني من الطائرة والخدمة فيها كالخدمة في الدرجـــة الأولـــى غير أن مقاعدها لا تمتد إلى الأمام والخلف بحيث تصبح كالسرير ينام عليه الراكب كما في الدرجة الأولى.

لـــم يكن في الطائرة مقعد خالٍ وفي هذه الدرجة التي ركبت فيها وهي درجة الأفـــق طائفـــة مـــن السعوديين الذين معهم أسرهم، بل إن ركابها كلهم تقريباً من السعوديين، وقد ختم على تذكرتي بالختم الذي يوضح أنني ركبت في درجة الأفق بديلة من الدرجة الأولى حتى أتقاضى الفرق من الخطوط السعودية في جدة.

وقـــد استمرت الطائرة فترة قبل أن تقلع بسبب كثرة الركاب ثم نهضت وهي مليـــئة تمامـــاً بالـــركاب في التاسعة والنصف إلى جدة دون توقف، وأعلن مكبر الصـــوت في الطائرة بلسان عربي مبين أن الطيران سوف يستغرق عشر ساعات ونصفاً وذكر أسماء الطيارين السعوديين وهما اثنان اللذين سيقودان الطائرة.

ولأول مـــرة مددت رجلي وأنا أشعر بالأمان على حقيبتي اليدوية التي فـــيها أشياء عزيزة عليَّ غير النقود مثل الأوراق التي كتبت عليها مذكراتي وبعـــض الكتـــب التي كتبتها عن منطقة الكاريبي وفيها الصور التي التقطتها وفـــيها بقايا من نقود حملتها من رابطة العالم الإسلامي للمؤسسات الإسلامية فـــي المـــنطقة، وأنفقت بعضها وأخذت سندات بذلك وبقيت منها بقية صالحة وكنت في طيلة سفري قلقاً على هذه الحقيبة اليدوية من الاختلاس أو الانتهاب وكـــان الانـــتهاب أصعب عليَّ إذا تخيلته من الاختلاس لأن الاختلاس تمكن مواجهته باليقظة والانتباه، وأما الانتهاب فإن ذلك لا يكفي لمواجهته، إذ يعمد المنتهـــب إلـــى ضرب ضحيته في مؤخرة رأسه من حيث لم يره ثم ينتهب حقيبـــته ويفـــر بهـــا، وإذا صحا صاحب الحقيبة لم يستطع ملاحقة المنتهب،

وكثـيراً مـا يكون للمنتهب شركاء أحدهم يلتقط الحقيبة اليدوية وأمثالها من الأشـياء الثمينـة ويفـر بها ثم يسلمها لآخر كان مرتاحاً، ويستسلم هو لمن يتعقـبونه مدعياً أنه لا يعرف الذي انتهبها فتضيع حتى وإن سجن أو ضرب وهو في الغالب لا يضرب ولا يسجن سجناً طويلاً.

وزاد مـن خشيتي ظهور غربتي في المنطقة الكاريبية لأن سكانها من السـود ولا يمكن إخفاء غربة الرجل الأبيض بينهم، ولكن الله سلم ولله الحمد وها أنا الآن في هذه الطائرة السعودية وكأنما هي قطعة من أرض بلادي في الأمـن والاطمئـنان، وهي وإن لم تكن قطعة من الأرض فإنها تشبه القصر الطائر الضخم الذي لم يكن يملك حتى الخلفاء المترفون ما يقدم فيه من طعام وشـراب قد جلب من أقطار عديدة ذات جواء مختلفة وحتى هواؤه قد كُيِّف وفق ما يريد أهله وركابه أن يكون.

وقـد أمكننـي فـي هذه النقلة السريعة أن أقارن بين طائرتنا وطائرات الأقطـار الأخـرى التـي ركبت معها وقد فعلت ذلك في ذهني فحكمت أن طائرتنا أسخى في الضيافة وما يقدم من طعام، ولكن العمال فيها أقل ملاحظة للراكـب وعناية به من ركاب بعض الطائرات الأخرى، وربما كان لضخامة عدد الركاب بالنسبة إلى عدد العمال أثر في ذلك.

يوم الجمعة: ٣/٧/١٤١٦هـ- ٣/١١/١٩٩٥م:

العودة إلى الوطن:

هبطت الطائرة في مطار جدة في الساعة الخامسة إلا عشر دقائق عصر الجمعة بعد طيران استغرق بالضبط ما ذكره مكبر الصوت فيها وهو عشر ساعات ونصف، وكان من الممكن أن أقف هنا عن الحديث في هذه الرحلة عند مغادرة طائرتنا مدينة نيويورك إلى جدة غير أن هناك شيئاً شدني إلى التنويه به.

وهو أنني عندما أردت السفر إلى جزر البحر الكاريبي أبرقت إلى مدير مكتب الرابطة في ترينداد واسمه الدكتور (وافي محمد) أن يكون في استقبالي في أول جزيرة أنزل فيها من الكاريبي وهي جزيرة مارتنيك وذلك ليصحبني في كل الجولة لكونه موجوداً في المنطقة وعالماً بأحوالها، ومن أجل أن يساعدني فيما أعمله، وأن يكون في ذلك مزيد من الأمن لي، ولكنه ذكر أن المنطقة الآن وهي كلها جزر هي في وضع سيئ كما قال، وتعاني من الأعاصير والفيضانات، وزيارتها في هذا الوقت غير مناسبة.

وكنت حزمت أمري على السفر، ويصعب عليَّ تغيير الموعد إلا إذا كان تأجيله لمدة طويلة ولم أكن سمعت عن أي أعاصير أو فيضانات في تلك الجزر إلا جزيرة واحدة هي (سان مارتن) التي كان قد ضربها إعصار قبل موعد سفري بشهر أو نحوه، وخرب جزءاً من منارة مسجدها ودرجاً فيه سقطت عليه المنارة فكان ذلك مدعاة لي للسفر والمرور بها من أجل مساعدة الإخوة المسلمين فيها على تعمير ما خربه الإعصار من المسجد.

لذلك سافرت وحدي وتركت الرجل وشأنه مع أنه موظف عندنا، ولا يستطيع أن يمتنع عما أمره به، ولكنني قلت في نفسي: ربما كانت له أعذار لم يرد أن يبديها لي.

وقـد جلـت في الجزر التي كنت رسمت خطة لزيارتها كلها بدون استثناء ماعدا جزيـرة كوبـا التـي ضاق عنها الوقت لكونها في آخر الرحلة فلم أجد شيئاً مما ذكره عـنها من سوء الحال فيها أو من وجود أعاصير أو عواصف أو فيضان، بل كلها في حالـة جـيدة حتى الأمن فيها وجدته أفضل مما كنت تخيلته إلا ما كنت عرفته من قبل مـن أحـداث تخريـب فـي مسجد جزيرة (سان مارتن) بسبب الإعصار، وقد زرت الجزيـرة واطلعـت على ذلك التخريب ودفعت للإخوة المسلمين ما يكفي لإصلاحه من رابطـة العـالم الإسـلامي، وكـان الإعصار فيها وما أحدثه في المسجد سبباً موجباً لزيارتي لها، وليس مانعاً من زيارتها، وقد كتبت عن رحلاتي في هذه الجزر الكاريبية أربعة كتب آخرها هذا الكتاب، ذكر هذه الكتب هنا من باب تنبيه من يرغب من القراء الكرام في معرفة شيء من أحوالها العامة أو من أحوال الإخوة المسلمين فيها خاصة.

وعـندما كانت طائرتنا اليوم تحوم فوق مدينة جدة قبل هبوطها في المطار رأيت فـي جـدة شيئاً غريباً وهو أن فيها مياهاً أراها في كل منطقة أو ناحية منها حتى بين البـيوت وفـي الشوارع والميادين، مما لم أر له مثيلاً في مدينة جدة من قبل وأنا الذي هبطـت فـي مطارهـا ومازلت منذ أكثر من أربعين سنة، وفركت عيني متسائلاً في نفسـي عما إذا كنت أحلم من تأثير ما رأيته من وفرة الأمطار والمياه في منطقة البحر الكاريبـي التـي قدمت منها، ولكن الأمر يقظة وليس مناماً حتى نزلنا وسألت موظفي المطـار فأخبرونـي أن جـدة شـهدت أمـس أمطاراً هائلة وصلت إلى حد الفيضان وصـحبتها ريـاح قويـة قلعـت الأشجار وأطارت سقوف بعض المنازل مما لم تعهد المدينة مثيلاً له منذ سنين!

فقلـت: سبحان الذي صد مثل هذه الأمطار المدمرة والرياح الشديدة عن مواطنها في الكاريبي وأصاب بها مدينة جدة!!!

الفهرس

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف ٥
مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات ١٣
المقدمة ١٧
الفصل الأول: بورتوريكو ١٩
بورتوريكو ٢١
المسلمون في بورتوريكو ٢٢
المركز الإسلامي في سان هوان ٢٣
من سان مارتن إلى سان هوان ٢٨
مغادرة سان مارتن ٢٩
فوق بورتوزيكو ٣٦
في مطار سان هوان ٣٧
مدينة سان هوان ٤٠
عشاء بورتوريكو ٤٣
صباح بورتوريكو ٤٥
البحث عن المسلمين ٤٦
إلى سفارة الدومنيكان ٤٨
المقصف العربي ٥٠
الإسبان المتغيرون ٥٠
الأسعار المتفاوتة للتذكرة ٥١
المركز الإسلامي ٥٥
إلى بلدة الرصيبو ٥٨
بلدة هاتيو ٦٢
بلدة الرصيبو ٦٤

المسلمون في الرصيبو ٦٦
أرض المسجد ٦٨
العودة إلى العاصمة ٧٠
مصلى نيقا ألتا ٧١
مأدبة الإمام ٧٥
مغادرة بورتوريكو ٧٨
الفصل الثاني: جمهورية الدومنيكان ٨١
جمهورية الدومنيكان ٨٣
المسلمون في الدومنيكان ٨٤
الحاجة إلى المسجد ٨٦
المصليات في العاصمة ٨٧
من سان هوان إلى سانتو دومنيقو ٨٨
في جزيرة هسبنيولا ٩٠
مطار سانتو دومينقو ٩١
المشكلة المتجددة ٩٧
وأخيراً وجدنا العربي ٩٨
وجاء الفرج ٩٩
جولة في مدينة سانتو دومينقو ١٠٣
الرئيس العربي ١٠٦
وقفة في شارع الشاطئ ١٠٧
ميدان خوان بالون ١٠٩
ميناء النهر والبحر ١٠٩
المدينة الاستعمارية ١١٢
بيت ابن كريستوفر ١١٥
السفينة التي وصلوا عليها ١١٧

المزولة النجدية ١١٨
المركز الإسلامي ١٢١
جولة مع كبار المسلمين ١٢٥
معضلة السفر ١٢٩
جولة ثانية في مدينة سانتو دومنقو ١٣٦
ميدان الاستقلال ١٣٧
جامعة أوتيسا ١٣٧
وزارة الدفاع ١٣٩
شارع الصحة ١٤١
حي ثمانية ونصف ١٤٣
شارع الاستقلال ١٤٦
منقطة فيريا ١٤٦
السوق القديم ١٤٧
حي سان توما ١٤٨
موديلو مركادو ١٤٨
سوق الخضرات ١٤٩
قبر كولون ١٥٣
مسجد النور ١٥٥
مغادرة الدومنيكان ١٥٨
من سانتو دومنقو إلى ميامي ١٦٠
في مطار ميامي ١٦٢
من ميامي إلى نيويورك ١٦٧
في مطار نيويورك ١٧٠
العودة إلى الوطن ١٧٦
الفهرس ١٧٩

مطبعة النرجس التجارية
NARJIS PRINTING PRESS
تلفون : ٢٣١٦٦٥٣ / ٢٣١٦٦٥٤
فاكس : ٢٣١٦٨٦٦ الرياض

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

https://dawa.center

كتب مخطوطة في الرحلات للمؤلف

١- رحلات في البيت: رحلات داخل المملكة العربية السعودية.
٢- جولة في جزائر البحر الأبيض المتوسط.
٣- حديث المؤتمرات (الخارجية).
٤- جولة في جزائر المحيط الأطلسي.
٥- مؤتمرات إسلامية حضرتها.
٦- رحلة المسافات الطويلة.
٧- حول العالم في خط متعرج.
٨- الإشراف على أطراف من المشرق العربي.

الرحلات الإفريقية

٩- الإشراف على أطراف من المغرب العربي.
١٠- العودة إلى غرب إفريقية.
١١- العودة إلى المغرب الأقصى، بين الصحراء والأرض الخضراء.

رحلات في القارة الأوروبية

١٢- التعليق على السفر إلى أقطار البلطيق.
١٣- من كوبنهاجن إلى كيف مرورا بباريس.
١٤- رحلة الشمال.
١٥- خلال أوكرانيا بحثا عن المسلمين.
١٦- زيارة لإيطاليا وحديث في شؤون المسلمين.
١٧- تجوال في بلاد البرتغال.
١٨- رحلة الأندلس.
١٩- زيارات خاطفة لمدن أوروبية مختلفة.
٢٠ - العودة إلى داغستان.

الرحلات الهندية

٢١- على أعتاب الهملايا.
٢٢- بلاد الهند والسند : باكستان.
٢٣- في الشمال الغربي من الهند.
٢٤- في أقصى شرق الهند.

الرحلات الآسيوية

٢٥- رحلات في بلاد الملايو.
٢٦- في مهد الترك : تركستان الشرقية.
٢٧- في أحناء إندونيسيا.
٢٨- في شمال شرق آسيا.
٢٩- جمهورية قازاغستان : ملخص تاريخي ومشاهدات ميدانية.
٣٠- إلى تاجيكستان، ثانية.
٣١- قازاغستان بعد اوزبكستان وتاجيكستان.

رحلات في القارة الامريكية الجنوبية

٣٢- الحل والرحيل في بلاد البرازيل.
٣٤ رؤية جديدة للجانب الأبعد من أمريكا الجنوبية.
٣٤- رحلة الجنوب.
٣٥- شمال البرازيل.
٣٦- وسط البرازيل.
٣٧- فنزويلا وترينداد.

رحلات في أمريكا الشمالية

٣٨- وراء العمل الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية.
٣٩- تلبية النداء لزيارة كندا.

الرحلات الصينية

٤٠- في وسط الصين.

الرحلات الكاريبية

٤١- المارتينيك وبربادوس.
٤٢- دومنيكا وقواديلوب وأنتيقوا.
٤٣- بورتوريكو وجامايكا وربة الدومنيكان.

رحلات بلقانية

٤٤- كرواتيا وسلوفينيا.

أستراليا وجنوب المحيط الهادي.

٤٥- في شمال أستراليا.
٤٦- في جنوب أستراليا.
٤٧- في شرق أستراليا.
٤٨- في غرب أستراليا.
٤٩- غينيا الجديدة آخر الغينيات زيارة.
٥٠- الإلمام بالمحيط الهادئ من أستراليا إلى جزيرة قوام.

رحلات في جمهورية الموز

٥١- بلاد المكسيك وقواتيمالا.
٥٢- السفر والأوبة من كوبة.
٥٣- التشريق بعد التغريب ، في بحر الكاريب.

الرحلات الروسية

٥٤- جمهورية القبائل الروسية.
٥٥- إلى الشرق الأقصى الروسي.
٥٦- مقال في السفر إلى منطقة الأورال.

الرحلات السيبيرية

٥٧- غرب سيبريا.
٥٨- شرق سيبريا.

مطبعة النرجس - ت: ٢٣١٦٦٥٣ ف: ٢٣١٦٨٦٦

دار الثلوثية للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - الرياض
تلفون ، ٤٦٤٢٩٩٩ / فاكس، ٩٩٩
mail: tholothia@gmail.com

٩٧٨-٦
9786030008735
SR 12.00